مغامرات الإخوة الأربعة

الجزيرة الغامضة

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مغامرات الإخوة الأربعة

الجزيرة الغامضة

بقلم

محمد أحمد برانق

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة المطبوعات الحديثة

عوالم روايات الجيب

الساحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

هؤلاء إخوة أربعة: صبيَّان وفتاتان. أما الصبيان فهما طريف وأسامة، وأما الفتاتان فهما إلهام وأنسام. وهم جميعاً يقيمون في مدينة كبيرة، ويتعلمون فى المدارس: بعضهم في نهاية المرحلة الابتدائية، وبعضهم في المرحلة الإعدادية.

والإخوة الأشقاء تلاميذ مجتهدون، يتفرغون في أثناء الدراسة لعملهم، يحبون مدرستهم، ويحترمون أساتذتهم، ويستجيبون لهم، يجلسون فى دروسهم متتبعين أساتذتهم في أدب ووقار فلا تفوتهم صغيرة ولا كبيرة، ويستفهمون إذا استغلقت عليهم مسألة من المسائل، ويستعينون مدرسيهم إذا صادفتهم مشكلة من المشكلات ... وهم مع ذلك يشاركون مشاركة كبيرة فى ألوان النشاط المدرسي، كل بحسب هوايته وميله.

فإذا عادوا إلى منزلهم بعد انتهاء يومهم المدرسي أعطوا أنفسهم قسطاً من الراحة، ثم عكفوا على دروسهم يحصلونها، ويستعينون والديهم فى فهم ما عسى أن ينبهاهم عليه.

وهكذا يقضون ستة أيام من كل أسبوع. أما يوم العطلة الأسبوعية فإنهم يخرجون فيه للنزهة أو يزورون أقاربهم، أو يلتقون ببعض أصدقائهم ممن هم على شاكلتهم خلقاً وجداً ونظاماً.

فإذا انتهى العام الدراسي تقدموا للامتحان، ونجحوا نجاحاً محموداً يُسَرُّ له والدهم وأقاربهم وأصدقاؤهم.

وإذا بدأت العطلة الصيفية خرجوا جميعاً لقضائها خارج المدينة.

والإخوة الأربعة لكل منهم هواية خاصة: فطريف يحب الطيور، ويميل إلى معرفة كثير منها، ودراسته، وقد صادق الببغاء كيكي وألفها وألفته، فهو لا يريحه إلا أن تكون معه، وهى لا يريحها إلا أن تلزم كتفه دائماً. وأسامة يحب الحشرات والحيوانات ويميل إلى معرفة كثير منها، ودراسته.. فهو يصادق فأراً أو قنفذاً أو ثعلباً صغيراً، أو نحو ذلك.

وأما إلهام وأنسام فإنهما تحبان قراءة الروايات والقصص الهادفة التي لها مغزى اجتماعي أو خلقي. وإلهام تميل مع ذلك إلى أشغال الإبرة، وأنسام تميل إلى التطريز، وكانت كل منهما تشغل جزءاً كبيراً من وقت فراتها بإشباع رغبتها وإرضاء هوايتها.

والإخوة الأربعة كانوا يشتركون جميعاً فى حب المغامرات، وكانت العطلة الصيفية فرصة طيبة لهم يقومون فيها بمغامرات تدل على

الذكاء وحسن الحيلة والقدرة على التخلص من المآزق وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد ... وكانوا يستفيدون منها كثيراً فهم يتعودون عادات حسنة، ويحصلون معلومات جديدة، ويكسبون أصدقاء، ويعركون الحياة عركا، ويترسون بالصعاب ترساً خلق منهم بعد أن شبوا أعضاء نفعوا وطنهم نفعاً كانوا لا يستطيعون أن يؤدوه له لولا ما كسبوا من صفات طيبة، ومعلومات قيمة في أثناء عطلاتهم الصيفية. وقد بدءوا مغامراتهم وهم لا يتجاوز أكبرهم الصف الثاني الإعدادي، ثم تابعوها حتى انتهوا من المرحلة الثانوية.

ومع ذلك فإن كل عطلة من هذه العطلات كانت تنتهى بأن يقدموا لدولتهم شيئاً نافعاً. فهم فى إحدى العطلات يعينون رجال المخابرات على أن يضبطوا عصابة تزييف للنقود، وفى عطلة أخرى ساعدوا على ضبط جواسيس كانوا يتسقطون أخباراً عن أسرار الدولة، وهكذا...

وبعد أن تنتهى كل عطلة من عطلات الصيف يعودون إلى مدينتهم وقد استفادوا ما استفادوا، وأفادوا غيرهم ما أفادوه... ويعودون أيضاً وكلهم حياة ونشاط ورغبة شديدة في الإقبال على دروسهم كما كانوا يقبلون عليها فى عامهم السابق.

ظل الإخوة الأربعة على هذه الحال بضع سنين، ونحن نتتبع ما كانوا يقومون به من مغامرات فى صيف كل عام، ونقدمه لأبنائنا الآخرين من ناشئة هذا الوطن لعلهم يجدون فى كل ما قام به إخوتهم الأشقاء الأربعة متعة وسلوى، ولعلهم يجدون فيه صورة طيبة لقضاء وقت فراغهم في عطلاتهم الصيفية.

وليس معنى هذا أننا نقول لك قلدهم من غير تفكير ولا تبصر، ولكن خذ من أعمالهم ما ترضى عنه، واترك ما لا ترضى عنه، فإن العقول والبيئات والقدرات والأذواق والهوايات ... ليست كلها واحدة عند جميع الناشئين

***

وبعد، فهذه هي المغامرة الأولى من سلسلة المغامرات التي قام بها الإخوة الأربعة. فماذا فيها؟ فيها أربعة أطفال في منزل قديم شبه متهدم، يقع على ربوة صخرية تشرف على البحر ... خادم أسود غريب الأطوار ... جزيرة غريبة تسمى الجزيرة الغامضة ... قارب شراعي يخرج فيه الأطفال ليروا ما يحدث في الجزيرة.

وفى الجزيرة الغامضة ... ممرات سرية ... مناجم نحاس قديمة.. رجال مختبئون فيها يقومون بأعمال غريبة ... ممر يمتد تحت قاع البحر نفسه، ثم ... مغامرات ومواقف مثيرة لا نهاية لها.

وهناك أيضاً الببغاء كيكي التي تشاطر الأطفال مغامراتهم، وتدخل السرور على نفوسهم بلغوها المضحك.

ما هو سر الرجال الذين كانوا على الجزيرة؟ وماذا يعملون هناك؟ هذا هو ما ذهب الأطفال لاستكشافه، وعندئذ اتضح لهم أن الجزيرة الغامضة إنما هي جزيرة المغامرات.

وبعد هذا الجزء الثاني، ومسرح المغامرات فيه قلعة من القلاع القديمة المهجورة.

الفصل الأول

١- الممر السري

انتهى العام الدراسي، وذهب أسامة وطريف مع شقيقتيهما إلهام وأنسام لقضاء فصل الصيف عند خالتهم عزيزة. وكانت خالتهم عزيزة تسكن مع زوجها العم علام فى منزل قديم جداً منعزل على شاطئ البحر. وكان المنزل فيما مضى من الزمان قصراً كبيراً تهدّمَتْ بعض اجزائه بفعل السنين، وهو يبعد عن المدينة نحو عشرة كيلومترات، حتى لقد كانوا يستمدون مياه الشرب من بئر عذبة محفورة فى الصخر إلى عمق كبير.

ولما كانت الخالة عزيزة لم تنجب أولاداً فقد كان يسعدها أن يأتي إليها أولاد أختها فى الصيف لكى يُؤْنِسُوا وحدتها، وخاصة أن زوجها العم علاماً لم يكن يفارق مكتبه، بل يظل عاكفاً على كتبه ومخطوطاته طول النهار وشطراً كبيراً من الليل. بل إنه كثيراً ما كان ينسى تناول طعامه فيتركه على المائدة حتى الصباح، ويظل مستغرقاً فى أبحاثه.

أخذ الأطفال معهم كتباً يقرءون فيها إذا خلوا إلى انفسهم. وحرص كل منهم أن يصطحب معه الكتب التي يميل إلى قراءتها. فطريف يجب أن يقرأ عن الطيور وطبائعها وعاداتها، فحمل معه كتباً خاصة بهوايته، وأسامة يحب أن يقرأ عن الحشرات وطبائعه وعاداتها.. فحمل معه كتباً خاصة بهوايته ... وإلهام وأنسام تحبان أن تقرآ قصصاً فيها مغامرات فيحملنا معهما كتباً خاصة بهوايتهما.

قضى الأطفال الأربعة وقتاً طيبا في منزل خالتهم، وكانوا في كل صباح يقرءون الصحف اليومية التي تأتى لخالتهم. وفى كل مساء يقرأ كل منهم كتاباً من الكتب التي يحبون قراءتها، ولم يكن يُنغص عليهم صفوهم سوى خادم خالتهم سرور، وهو شاب زنجي تتسم تصرفاته بالبلاهة والغباء. وكانت خالتهم تحتفظ به لأنها لم تجد من يرضى بالعمل عندها فى ذلك المكان المنعزل غيره. وكان سرور دائم التدخل فيما لا يعنيه من شئون الأطفال، ويحاول منعهم من التجول بين صخور الشاطئ، ويعترض على كل ما يفعلون. وكثيراً ما كان أسامة يصيح به: اتركنا يا سرور واذهب إلى عملك، فيقول سرور: لقد أمرتني السيدة خالتكم ألا أغفل عنكم حتى لا تتعرضوا للأخطار.

وفى أحد الأيام كان الأطفال الأربعة يجلسون على شاطئ البحر

فقال طريف: لو أن هذا الرجل سروراً كان لطيفاً لأخذنا قاربه الشراعي وقمنا بنزهة فى البحر، ولذهبنا إلى تلك الجزيرة التي تتراءى لنا عند الأفق، فإنني أتوقع أن نجد بها مئات من الطيور البحرية الجميلة.

وكان طريف من هواة الطيور الجميلة، وكانت له ببغاء ذكية لا تفارق كتفه أينما ذهب، وكانت الببغاء تستطيع الكلام، فتأخذ في ترديد بعض الكلمات التي تسمعها بين حين وحين.

وقالت إلهام: كم كنت أود أن يأخذني سرور إلى المدينة في السيارة العتيقة كلما ذهب إلى هناك، فإنني كنت أود أن أشترى بعض الأشياء، ولكن أخلاقه الفظة تمنعني أن أطلب منه ذلك!

وقال أسامة: لا فائدة من استعارة قارب سرور، فهيا بنا نستكشف ذلك الكهف الكبير الذي عثرنا عليه أمس. لقد أحضرت معي بعض الشموع؛ لأن سروراً لم يوافق على اصطحابي معه أمس فى السيارة إلى المدينة لكى أشترى بطارية.

وانطلق الأطفال الأربعة يجرون فوق الصخور حتى وصلوا إلى الكهف. فقال طريف: لقد كان اللصوص يستخدمون هذه الكهوف فيما مضى لإخفاء المسروقات. أما الآن فإنها خالية إلا من الأعشاب البحرية التي يحملها المد معه ثم يتركها عندما تَنْحَسِرُ المياه.

وأبصر أسامة سَرَطاناً صغيراً فأمسك به من أحد أرجله وصاح: انظري يا أنسام هذا السرطان الجميل.

وكان أسامة يعلم أن أنسام تخاف من هذه الحيوانات والحشرات التي يهوى جمعها، ولكنه كان يحب المشاكسة بطبعه، فعاد يقول: إنه يشير إليك بأرجله.

وقرب أسامة أبا جلمبو من وجه أنسام فصرخت خائفة، ودفعت أسامة بكل قوتها لتبعده عنها، فاختل توازنه وسقط على أرض الكهف وانطفأت شمعته...

رفع طريف شمعته إلى أعلى ونظر.. ثم نظار هو وإلهام وأنسام. ولكنهم لم يجدوا أثراً لأسامة. وذعرت أنسام فإنها لم تكن تقصد عندما دفعت أسامة أن يختفى من على وجه الأرض. وصاح طريف: أسامة.. أسامة... وبعد لحظات جاءهم الرد: أين أنا؟

وصاح طريف: هذا صوت أسامة. ولكن.. أين هو؟

وتقدم طريف إلى المكان الذي سقط فيه أسامة، ولكن قدمه زلت فجأة واختفى هو أيضاً كأنما ابتاعته أرض الكهف. وصاحت أنسام وإلهام مُنزَعجتَينِ وخَشِيَتَا إنْها تَقَدَّمَتَا إلى الأمام أن تلحقا بالصبيين. فأخذتا تحملقان فى المكان الذي اختفى فيه أسامة وطريف بقدر ما ساعدها ضوء الشمعتين الباقيتين، وعندئذ كشفتا السر.

فقد كانت الأعشاب البحرية المتراكمة فى الكهف تخفى تحتها حفرة فى الصخور تؤدى إلى كهف آخر تحت الكهف الذي يقفون فيه، فلما وقع أسامة انهارت الأعشاب تحت ثقله، وكذلك عندما تقدم طريف انزلق فى الحفرة. وقالت أنسام: لقد سقطا في هذه الحفرة وأرجو ألا يكونا قد أصابهما شيء من الجروح أو الكسور، ولكن ... المهم كيف نستطيع إخراجهما من هذه الحفرة؟

وكان طريف قد سقط فوق أسامة المسكين فكاد يهشم عظامه، فطارت الببغاء كيكي من فوق كتفه مذعورة وبقيت مع البنتين في الكهف وهى تصيح بصوت عال جعل أنسام تنهرُها. وقالت أنسام لإلهام: اقتربي من الفتحة بحذر وإلا سقطت فيها. تُرَى ماذا حدث؟

ولكن الذي حدث كان بسيطاً جداً، فقد سقط أسامة في الفتحة وتبعه طريف فسقط فوقه، وقال أسامة: أين نحن الآن؟ !

فقال طريف: يبدو أننا في كهف صغير! ثم مد يديه حوله ليتحسَّس حجم الكهف، ولكن يديه لمستا حوائط صخرية فى كل جانب فصاح: إنه كهف صغير جداً.

وعندئذ ظهر ضوء الشموع فوق الحفرة فصاح طريف: إننا فى حاجة إلى إحدى هاتين الشمعتين.

فانبطحت أنسام على الأرض ومدت ذراعها في الفتحة حتى يستطيع طريف أن يتناول الشمعة

فلما بددت الشمعة ظلام الكهف قال طريف: إنه ليس كهفاً إنه ممر. إن الممر مشقوق فى الصخر ويبدو أنه يصل إلى المنزل ... هذه هي كيكي !

ففي هذه اللحظة طارت الببغاء كيكي ووقفت فوق كتفه وهى تصيح: اقفل الباب!!!، فضحك الغلامان وتبدد خوفهما، وكثيراً ما كانت كيكي تبعث المرح فى نفوسهم بكلماتها التي ترددها دون أن تدرك حقيقة معناها. ثم ما لبثت كيكي أن أخذت تصفر صفيراً متقطعاً، ثم أمرت نفسها بالسكوت فضج الأطفال بالضحك.. وقال أسامة لطريف: إنني أقترح أن نقوم باستكشاف هذا المر لنرى إلى أين يصل.

فقال طريف: لا أظن أنه ممر حقيقي. ما هو إلا شق في الصخور لا يوصل إلى شيء.

وصاح أسامة يقول لإلهام: إننا سنقوم باستكشاف هذا الممر، فهل تريدان مصاحبتنا؟ فأجابت إلهام على الفور: لا! إني لا أحب هذا الظلام، ولا أطيق رائحة الأعشاب البحرية هذه.

وقالت إلهام: إننا سننتظركما هنا حتى تعودا فلا تتأخرا.

وبدأ أسامة وطريف يتقدمان فى الممر المظلم الرطب مسترشدين بنور الشمعة الوحيدة التي معهما، وبقيت إلهام وأنسام فى الكهف ومعهما الشمعة الباقية تنتظر ان عودة الصبيين، ولكن انتظارهما طال وانقضت مدة طويلة ولم يعد أسامة وطريف، فبدأ القلق يساور البنتين وأخذتا تتساءلان عما يمكن أن يكون قد حدث لهما. وأخذتا تحملقان في الفتحة المؤدية إلى الممر المظلم، ولكنهما لم تريا شيئاً، وأرهفتا آذانهما، ولكنهما لم تسمعا شيئاً. وقالت إلهام: هل ننزل خلفهما إلى هذا الممر لنرى ما حدث؟

فقالت أنسام: أظن أن الأفضل هو أن نعود إلى المنزل ونستدعى سروراً ليساعدنا، فلا ريب أنه يستطيع إحضار بعض الحبال حتى يساعدها على الخروج من الفتحة إلى الكهف.

ولكن إلهام كانت تكره سروراً، بل كانت تخاف منه، فقالت: لا. إنني أفضل أن نبقى بعض الوقت هنا فقد يكون الممر طويلا..

وكانت هذه هي الحقيقة . . . فقد كان الممر طويلا جداً، وظل الطفلان يسيران في جوف الصخور والممر يتجه إلى أعلى، وأصبح الهواء أكثر جفافاً واختفت رائحة الأعشاب البحرية، وبعد بعض الوقت ازداد ميل الممر إلى أعلى حتى وصل الطفلان إلى ما يشبه درجات السلم منحوتة فى الصخور. فأسرعا يصعدان فيها حتى وصلا إلى نهايتها، ثم وقفا مذهولين فقد وجدا أمامهما حائطاً صخريا صلداً! فقال أسامة لطريف: يبدو أنه ليس سوى شق في الصخور كما قلت!

ولكن طريفاً قال: ولكن انظر إلى هذه الدرجات المنحوتة فى الصخر إنها ليست من صنع الطبيعة.

ورفع أسامة الشمعة إلى أعلى ونظار بعينيه.. ثم لم يلبث أن صاح: انظر يا طريف! انظر!

٢- في السرب

نظر طريف إلى حيث أشار أسامة فرأى بابا خشبياً صغيراً مثبتاً فى سقف الممر فصاح: هيا نحاول فتحه !

فتخير أسامة صخرة بارزة فى أحد الجدران وألصق الشمعة فوقها، ثم أخذ الاثنان يدفعان الباب الخشبي بكل قوتهما حتى تزحزح عن مكانه قليلا، ولكن بعض الأتربة سقطت وتطايرت فأصابت عيونهما فأخذا يمسحانها، ثم عادا يحاولان دفع الباب مرة أخرى بعد أن أغمض عيونهما فنجحا في تحريكه. وقال أسامة: فلبحث عن بعض الأحجار المسطحة لنقف عليها، فنستطيع أن ندفع الباب بقوة أكبر. وسرعان ما وجدا ثلاثة أحجار مستوية فوقفا عليها وأخذا يدفعان الباب الخشبي إلى أعلى فانفتح فجأة وانقلب منطبقا على أرض الغرفة العلوية. وقال أسامة لطريف: ساعدني حتى أصعد إلى أعلى. وتعاون الاثنان ودفع طريف أسامة إلى أعلى دفعة جعلته ينطلق من الفتحة ليجد نفسه على أرض صخرية صلبة والظلام يلفه من كل جانب. فقال أسامة: ناولني الشمعة وسأجذبك إلى أعلى.

ناول طريف أسامة الشمعة، ولكنها انطفأت في الحال وقال أسامة: ما هذا؟! فقال طريف: إنها كيكي. لقد تركت كتفي وطارت إلى أعلى. وكانت البغاء كيكي قد ظلت صامتة طول تلك المدة لأنها أخافها الظلام، وظلت متعلقة بكتف طريف لا تبرحها..

وبحث أسامة عن عُلبَةِ الثقَابِ في جيبه وأوقد الشمعة ثم عاون طريفاً على الصعود وقال متسائلا: أين تظننا الآن؟! فرد عليه طريف: كأننا وصلنا إلى نهاية العالم. ونظر الطفلان حولها وقال أسامة فجأة: لقد عرفت أين نحن الآن. إننا في إحدى حجرات السرب الذي تحت منزل خالتنا. انظر حولنا تجد صناديق المئونة وعلب الطعام وغير ذلك. فقال طريف: هذا صحيح! يا لها من مغامرة!! يا ترى هل تعلم خالتنا بأمر هذا الممر؟ !

فقال أسامة: لا أظن، وإلا لكانت قد قصت علينا قصته، ولكنها لم تذكر شيئاً عنه أبداً. قال أسامة: إنني لا أذكر إنني رأيت هذا الجزء من السرب قبل ذلك. فلنبحث عن الباب..

وأخذ الصبيان يتجولان فى المخزن حتى وجدا الباب، ولكنهما ألقياه موصداً، فدهشاً جداً لذلك. وضاقت نفس أسامة فقال: يبدو أننا سنضطر إلى العودة عن طريق ذلك الممر المظلم مرة أخرى. إنني

---

* السرب: البدروم

ورفع أسامة الشمعة إلى أعلى ... ثم لم يلبث أن صاح ...

لا أحب الرجوع من ذلك الطريق. وعلى كل حال فهذا الباب لا يوصل إلى المطبخ. ولابد أنه يفصل هذا الجزء من السرب عن بقية الأجزاء فإنني لا أذكر أنني رأيته قبل ذلك.

والتقطت أذنا طريف - وكان حاد السمع - صوت وقع أقدام مقبلة فقال: أنصت!! يبدو أن شخصاً قادم إلى هنا.

وقال أسامة عندما سمع صوت الأقدام الثقيلة: إنه سرور. إنني أسمع صوت سعاله الخشن. فلنختبئ فإنني لا أريد أن يعرف سرور بأمر هذا الممر السري. يجب أن نحتفظ به لأنفسنا. أقفل الباب السري بسرعة يا طريف، وهيا تختبئ خلف الباب حتى نستطيع أن نتسلل إلى الخارج عندما يفتح سرور الباب. والآن أطفى الشمعة. وأطفأ طريف الشمعة بعد أن أغلق الباب السري بهدوء واختبأ الاثنان بالقرب من الباب وقد ساد المكان ظلام شديد وسمعا صوت المفتاح يدور في الباب ثم ظهر سرور يحمل في يده مصباحاً ودخل المخزن متوجهاً إلى حيث صناديق المئونة تاركا الباب مفتوحاً. وكان في إمكان الصبيين أن يتسللا إلى الخارج دون أن يتنبه سرور إليهما، ولكن الببغاء كيكي اختارت هذا الوقت لكى تقلد سعال سرور الخشن، فملات المخزن بأنات حزينة تردد صداها فى جنبات المكان المظالم، فسقط المصباح من يد سرور وتحطم على الأرض وتناثر

زجاجه وانطفأ نوره، وأطلق سرور صرخة رعب وانطاق يتلمس الباب، فاصطدم بالصبيين فأطلق صيحة فزع أخرى وانطلق يعدو ولم يتريث لكى يغلق الباب!!... وأثار ذلك كله كيكي فأطلقت صرخة حادة جعلت سروراً يسرع في فراره ويدخل المطبخ لاهثاً، فذعرت الخالة عزيزة وصاحت: ما هذا؟ ماذا حدث؟ وقال سرور وهو يلهث: هناك أشياء فى السرب ! فصاحت سيدته: ماذا تعنى بكلمة أشياء؟! فقال سرور: هناك أشياء تصرخ وتحاول الإمساك بي. فقالت سيدته: هراء! ولماذا نزلت إلى السرب؟ إننا لم نكن نريد شيئاً من هناك. كف عن هذا الهذر حتى لا تخيف الأطفال.

وفى ذلك الوقت كان أسامة وطريف غارقين فى الضحك في السرب. وقال طريف: إن سروراً كثيراً ما يحاول إخافتنا بقوله إن هناك أشياء غريبة تتجول حول القصر وعلى الشاطئ في الليل، والآن وقع ضحية قصصه السخيفة. وقال أسامة: لقد ترك المفتاح في الباب، فلنأخذه حتى نستطيع أن نخرج من هنا إذا جئنا عن طريق الممر ووجدنا الباب موصداً. ولعل سروراً يظن أن الأشياء الغريبة هي التي أخذت المفتاح.

خرج أسامة وطريف من المخزن ونظرا حولها وقال طريف: لا أذكر إنني رأيت هذا الباب قبل ذلك. فقال أسامة: لقد كان مختبئاً

خلف هذه الصناديق الفارغة، ولابد أن سروراً هو الذي وضعها هنا حتى لا نرى الباب، ولكنه لن يستطيع الوقوف في طريقنا بعد الآن. ونستطيع أن نستخدم الممر السري بحرية. وقال طريف: أظن أن هذه الدرجات تؤدى إلى المطبخ. يا ترى هل هناك أحد؟ إننا لا نريد أن يرانا أحد حتى لا نتعرض لأسئلته. فصعد أسامة ونظر من فرجة الباب فلم يجد أحداً، لأن خالته عزيزة كانت قد غادرت المطبخ ثم غادره وراءها سرور، فتمكن الصبيان من الخروج دون أن يراهما أحداً، وانطلاقا يعدوان نحو صخور الشاطئ متجهين نحو الكهف الذي تركا فيه شقيقتيهما، فلما اقتربا من الكهف قال طريف: لا شك أن إلهام وأنام تتساءلان عما حدث لنا. هيا نفاجئهما وهما لا تتوقعان. أن نعود من خلفهما

واستمر الطفلان فى طريقهما فوق الشاطئ الصخري نحو الكهف، وفى ذلك الوقت كانت الفتاتان جالستين حول فتحة الممر داخل الكهف تتناقشان فى الأمر وتتدبران ما يجب عليهما عمله، وقالت أنسام: يجب أن نذهب فى طلب النجدة الآن. إنني واثقة أن شيئاً قد حدث لطريف وأسامة. إنني أخشى أن يكون قد حدث لهما مكروه! وأبصر أسامة بسرطان صغير يجرى فوق الصخور، فاسرع والتقطه وتسلل بهدوء إلى مدخل الكهف ودخل واقترب من الفتاتين

الغافلتين ووضع أبا جلمبو على ذراع أنسام العارية، فانطلق أبو جلمبو يجرى بأرجله المتعددة فصرخت أنسام رعباً، فلما رأت أسامة استشاطت غضباً، وانطلقت تعدو خلفه وهى تتوعده، ولكن أسامة كان قد لاذ بالفرار. وأسرعت إلهام نحو طريف تسأله: ماذا حدث لكما.؟! لقد انتظرناكما طويلا. كيف جئتما من هذا الطريق؟! وإلى أين يؤدى ذلك الممر؟! ولكن طريفاً لم يستطع أن يجيب عن سؤال واحد من هذه الأسئلة، فقد ارتفعت صرخات أنسام وأسامة ونشبت بينهما معركة حامية، بعد أن أدركت أنسام أسامة وأمسكت به، وأسرع طريف ومن خلفه إلهام لفض المشاجرة، فلما نجحا فى إبعاد كل من المتشاجرين عن الآخر وخلصا أسامة من يدي أنسام كانت قد انتزعت بعض شعرات من رأسه في يديها. وانصرفت أنسام غاضبة، ولكنها ما لبثت أن تذكرت أنها لم تسمع ما حدث لطريف وأسامة، وكان من مميزات أنسام أنها تصفح سريعاً وتنسى الإساءة، فعادت أدراجها ووضعت ذراعها على كتف أسامة قائلة: إنني آسفة يا أسامة. هلا أخبرتنا عما حدث لكما في الممر السري؟! فبدأ أسامة وطريف يقصان ما حدث.

٣- القارب الغريب

حاول طريف وأسامة كثيراً أن يصحبا أختيهما إلى الممر السري ولكن الفتاتين رفضتا بإصرار، فقد خشيتا أن تنزلا إلى ذلك الممر المظلم الضيق. وقال أسامة: إن أنسام تخشى أن ينب عليها أبو جلمبو فى الممر! أما إلهام فإنها ما زالت طفلة صغيرة !

ولكن هذا التحدي لم يكن ليجعل الفتاتين تغيران رأيهما وتنزلان إلى الممر السري، ونزل أسامة وطريف إلى السرب فى اليوم التالي فوجدا أن سروراً قد أعاد ترتيب الصناديق الفارغة أمام باب المخزن الذي يؤدى إليه الممر السري. وأخذ الأطفال يقضون وقتاً جميلا بين اللعب على الشاطئ والسباحة في البحر، ولكن طريفا كان يتركهم كثيراً ليقضى معظم وقته فى مراقبة الطيور البحرية المختلفة التي كان مشغوفاً بها. وكان أسامة شغوفاً يجمع أكبر عدد ممكن من الحيوانات والحشرات الصغيرة وكانت له قدرة عجيبة على استئناسها... فكان له صديق ألفه وأنس به واطمأن إليه.. هو فأر أبيض صغير لا يفارق جيبه!! وكثيراً ما خرج يجرى حول عنقه ثم يعود ثانية إلى مخبئه في أحد الجيوب، وكان آخرَ ما استأنسه أسامة اثنان من أبي جلمبو، ولكن حدث أن جلس مرة فوق أحدهما عن غير قصد، فقرصه أبو

جلمبو قرصة شديدة، فقرر أسامة أن يعدل عن استئناس هذا النوع من المخلوقات الشرسة.

وفى ذلك اليوم مضى الأطفال إلى شاطئ البحر يلعبون، ولكن طريفاً انفرد بنفسه وصعد إلى صخرة عالية واستلقى على ظهره وهو يتابع الطيور المحلقة فى السماء من خلال نظارته المعظمة. وكان مستغرقاً في متابعة الطيور فلم يشعر ببغائه كيكي وهى تحوم حوله ثم تهبط فجأة على وسطه، فقفز صائحاً: كيكي!! حذار إن مخالبك تغوص فى لحمى. إنني لا أرتدى شيئاً سوى ملابس السباحة. قفى هنا ساكنة: إن تحويمك فى الجو يزعج بقية الطيور. لقد رأيت اليوم خمسة أنواع مختلفة من الطيور البحرية..

اعتدل طريف جالساً ونظر حوله، ثم وضع نظارته المعظمة أمام عينيه، وأخذ ينظر ناحية البحر فرأى على مدى البصر جزيرة.. جزيرة تقع عند الأفق لم يكن قد رآها قبل ذلك بوضوح، ولكنه اليوم كان يراها واضحة خلال نظارته المعظمة. فقال فى نفسه: يا ترى.. لماذا يقول سرور إن هذه الجزيرة مكان غير مرغوب فيه. ويسميها دائماً الجزيرة الكئيبة؟! إنها لا تبدو كئيبة أبداً. إلى أرى الآن تلالا صخرية صغيرة فوقها كما إنني أرى الأمواج وهى تتكسر فوق الصخور المحيطة بالجزيرة ويرتفع رذاذها فى الهواء. ولم يستطع طريف أن يرى طيوراً

فوق الجزيرة لأن نظارته المعظمة لم تكن من القوة بحيث تمكنه من أن يرى التفاصيل الدقيقة فوق الجزيرة، ولكنه كان يشعر في قرارة نفسه أن هناك طيوراً كثيرة فوق تلك الجزيرة، وأخذ يقول لنفسه: لابد أن هناك طيور نادرة فوق تلك الجزيرة.. طيورا لم يسمع الإنسان بها.. ولا يعلم عنها شيئاً ... بل ظلت تعيش وتتكاثر على مر السنين فوق تلك الجزيرة البعيدة دون أن يعكر صفوها أحد.. كم أود أن أذهب إلى تلك الجزيرة. لو لم يكن سرور فظاً لأخذنا قاربه الشراعي وذهبنا به إلى هناك عندما يكون البحر هادئاً مثل هدوئه فى هذا اليوم ... فليذهب سرور إلى الجحيم !!!...

وعاد ظريف ينظر إلى البحر من خلال منظاره، وفجأة رأى شيئاً جعله يحدق بانتباه ودهشة، فقد رأى شخصاً فى قارب على بعد نحو كيلومتر، وكان القارب يسير بمحاذاة الشاطئ، ودهش ظريف لأن سروراً كان قد أكد لهم أنه لا يوجد من يملك قارباً سواه في هذه المنطقة كلها ... في دائرة نصف قطرها نحو سبع كيلومترات كما أن خالته عزيزة ذكرت أنه ليس هناك من يعيش بالقرب من هذا المكان لمسافة أطول من ذلك. وقال ظريف فى نفسه: ومع ذلك فهناك شخص في قارب شراعي بالقرب من الشاطئ وإلى الغرب من هنا.. ترى من هو؟ لا شك أنه سرور ... وكان الرجل الذي فى القارب

بعيداً جداً فلم يستطع طريف أن يميز ما إذا كان هو سرور نفسه أم هو شخص آخر غيره. ولما كان وقت الغداء قد حان فقد قرر طريف أن يعود إلى المنزل وأن يمر قبل ذلك بالمكان الذي يرسو فيه قارب سرور ليرى ما إذا كان القارب فى مكانه أم لا ... فإن لم يكن فى مكانه يكن الرجل الذي فى القارب هو سرور. ولكنه عند ما وصل طريف إلى مكان القارب وجده مربوطا فى مكانه كالعادة وهو يتأرجح فى هدوء فوق سطح المياه الهادئة فى المرفأ الصغير، كما وجد سروراً على الشاطئ يجمع بعض الأخشاب. إذا ... فلا بد أن يكون هناك شخص غير بعيد يملك قاربا شراعيا.

وأسرع طريف يخبر إخوته باستكشافيه الجديد... قارب في مكان غير بعيد فيه شخص... فدهشوا عندما سمعوا ذلك، ولكنهم اغتبطوا ... وقال أسامة على الفور: فلنذهب لنكشف من هو هذا الشخص ونصادقه. فربما أخذنا معه إلى عرض البحر لكي نصطاد السمك. لقد وجدت نظارتك المعظمة شيئاً مسلياً لنا أكثر من طيورك. وقال طريف: فلنذهب غدا للبحث عنه، والحقيقة أني أريد أن تتاح لي الفرصة لكى أذهب إلى الجزيرة لأبحث عما إذا كان هناك بعض الأنواع النادرة من الطيور، وإني لأشعر شعوراً أكيداً إنني سأجد طيوراً كثيرة هناك. وقالت أنسام: يجب ألا نخبر سروراً أننا رأينا شخصاً آخر فى قارب، وإلا حاول أن يعرقل خططنا فإنه يكره أن يتركنا نفعل ما نريد.

وهكذا لم يعلم سرور أو خالتهم عزيزة أمر الرجل الغريب صاحب القارب الشراعي، وقرر الأطفال أن ينطلقوا في اليوم التالي ليقابلوا الرجل ويتحدثوا إليه ... ولكن شيئاً حدث في تلك الليلة قبل أن يأتي اليوم التالي

٤- مغامرة في الليل

لم يستطع طريف أن ينام نوماً عميقاً هادئاً في تلك الليلة ... كان ذهنه مشغولاً بالجزيرة وبالطيور التي يتوقع أن يجدها عليها، وكان القمر بدراً وأشعته تنساب من خلال النافذة فتُبعد النوم عن عينيه، وأخذ طريف يتأمل القمر الفضي اللامع وهو يتساءل: لماذا لا يعيش الناس الآن على تلك الجزيرة؟! لا شك أنه كان هناك أناس يعيشون عليها فيما مضى؟! وهل يا ترى يستطيع أحد أن يعيش عليها الآن؟! ثم قال في نفسه: هل أستطيع أن أراها الآن في ضوء القمر؟ وترك الفراش بهدوء من غير أن يوقظ أسامة وذهب إلى النافذة، ونظر إلى الخارج فرأى أشعة القمر تضئ مياه البحر فيما عدا الأماكن التي كان ظل صخور الشاطئ يسقط عليها. وكان البحر هادئاً.. وفجأة رأى طريف قارباً شراعياً ينزلق فوق سطح الماء مُتَجهاً نحو الشاطئ، فدهش لذلك وأسرع يوقظ أسامة ولم تمض لحظات حتى كان الاثنان ينظران من خلال النافذة نحو القارب وشاركتهما كيكي فإنها استيقظت وجاءت لترى ما يحدث من فوق كتف طريف. وقال أسامة: هل هو زورق سرور؟!

فقال طريف: إنني لا أستطيع أن أتبينه من هذه المسافة، هيا بنا إلى الشاطئ لنراه من قرب.

فقال أسامة: إنني أعجب كيف يخرج سرور في منتصف الليل وهو الذي قال لنا كثيراً إن هناك أشياء شريرة تحوم بالليل حول هذا المكان. ومع ذلك فربما لا يكون سروراً. وفى لحظات كان الغلامان يسرعان فوق الشاطئ الصخري نحو المرفأ، فلما وصلا قال أسامة: إنه سرور. إني أستطيع أن أراه الآن بوضوح. إن معه حزمة كبيرة.

فقال طريف: ربما كان يصطاد.

وقال أسامة: هيا نختبئ، ثم نخرج عليه فجأةً لِتُرْعِبَهُ ونخيفه.

واختبأ الغلامان خاف صخرة قريبة من الماء ووقفا يراقبان سروراً وهو يطوى شراع القارب ثم يقترب من الشاطئ مستعملا المجدافين حتى رسا القارب بأمان، وربطه إلى الشاطئ واستدار ليتناول الحزمة

فقفز الغلامان من خاف الصخرة وهما يصيحان كالهنود الحمر، وأخذ سرور على غرة وقفز مرتعباً، فاختل توازنه وسقط فى الماء، ولكنه خرج منه بسرعة وعلى وجهه قسمات شريرة، فخاف الغلامان وأرادا التقهقر نحو المنزل، ولكن الرجل الزنجي قطع الطريق عليهما وقد أمسك بيده قطعة من حبل غليظ، وقال من بين أسنانه: سأريكما ما يحدث لمن يتجسس علي فى منتصف الليل!

وحاول طريف أن يمرق من جانبه، ولكن سروراً أمسكه وأهوى عليه بالحبل الغليظ، فصرخ طريف متألماً، فاندفع أسامة نحو سرور ونطحه برأسه نطحة قوية فى أسفل صدره، فكاد نَفَسه ينقطع، وأفلت طريف وانطلق الغلامان يجريان، ولكن طريفً أحس بالماء حول رجليه، فقال: لقد ارتفع المد ونحن غافلان وانقطع الطريق إلى المنزل من هذه الناحية ولا بد أن نعود لندور حول الصخور.

فقال أسامة وهو يلهث من التعب والخوف: إذا عدنا فسنقع في قبضة سرور وسيضر بنا حتى نموت، فهيا بنا إلى الكهف ولنعد عن طريق الممر السري. وانطلق الغلامان نحو الكهف وقد استبد بهما الخوف، وسرور يتبعهما وهو يقول فى نفسه: لقد وقعا فى يدي وسأعلمهما ألا يغادرا فراشهما بعد الليلة.

ولكن الغلامين كانا قد أسرعا بالنزول إلى الممر السري عندما وصل سرور إلى الكهف، وكانا يخشيان أن ينزلقَ عن غير قَصْدٍ فيسقط فى الممر، ولكنه لم يدخل الكهف، بل ظل واقفا في الخارج في انتظار خروجهما وبيده الحبل الغليظ، ولكن الماء كان يرتفع ارتفاعا مستمراً بسبب المد، وشعر سرور بالأمواج تضرب ساقيه ثم جاءت موجة غَطَّت وسطه فقرر الرجوع وقد تحقق أن المدِ سيَحبس

الغلامين في الكهف حتى الصباح وقال في نفسه: سأعود في الصباح المبكر لألقنهم درساً قاسياً عندما يخرجان.

وكان الغلامان فى ذلك الوقت يسيران فى الممر فى ظلام دامس مخيف، ولكن الخوف من الظلام الدامس كان أقل من الخوف من سرور الغضبان القاسي، واخيراً وصل الغلامان إلى الباب السري فدفعاه حتى انفتح وصعدا إلى المخزن ثم أغلقها الباب، وأمسك أسامة بيد طريف وأخذ الاثنان يتحسّسان الجدران بحثاً عن الباب وهما يتعثران تعثراً متتابعاً، تارةً فوق الصناديق وتارة أخرى فوق بعض الأجولة، وأخيراً وجدا الباب ودفعه أسامة فانفتح، وفى نفس الوقت سقطت كومة الصناديق الفارغة التي يضعها سرور خلفه ليحجبه عن الأنظار، وأحدث سقوط الصناديق دوياً هائلا فوقف الغلامان يتسمعان قليلا، ولكن أحداً لم يستيقظ، فأعادا الصناديق إلى ما كانت عليه بقدر ما مكنهما الظلام، ثم انطاقها إلى حجرتهما وهما يتساءلان: أين سرور الآن؟ !

وكان سرور في ذلك الوقت قد عاد إلى قاربه وأخذ حاجاته وذهب إلى المنزل ودلف إلى حجرته فوق المطبخ، وكان على وشك أن ينام عندما سمع صوت سقوط الصناديق، فدهش دهشة عظيمة، ولكنه كان متعباً فلم يذهب ليرى السبب، ولو أنه ذهب لرأى شبحين

فاندفع أسامة نحو سرور و نطحه برأسه نطحة قوية فى أسفل صدره

صغيرين هما أسامة وطريف يتسللان كالفئران ويصمدان الشم جرياً.

نام سرور وهو فرحان لأن الغلامين سجينان في الكهف، وبات يحلم بالذهاب إليهما فى الصباح ومعه الحبل الغليظ، ونام الجميع في النهاية...

كان سرور أول من استيقظ في الصباح المبكر فقام بأعماله المعتادة، وعندما وجد أن موعد الجزر قد اقترب، لف الحبل حول وسطه واستعد للذهاب إلى الكهف، ولكنه وقف مذهولا عندما اندفع الأطفال الأربعة إلى المطبخ وهم يتصايحون: إننا جائعون، ماذا أعددت للإفطار يا سرور؟! وتبعتهم خالتهم عزيزة قائلة: هل نمتم جيداً أيها الأولاد؟ !

فقال أسامة: لقد نمنا نوماً عميقاً لا يوقظنا منه شيء حتى تقليد كيكي لقطار السكة الحديد. وقال سرور لأسامة مندهشاً: هل نمتما في فراشكما أمس؟

فقال أسامة: وأين ننام إذا؟ فوق السحاب؟ !

استدار سرور وهو لا يكاد يفقه شيئاً مما حدث، فقد كان واثقاً أن الغلامين اللذين قابلاه فى الليل هما طريف وأسامة، بالرغم من أنه لم ير وَجْهَيْهِمَا، ولكن كيف يستطيع من كان في الكهف أن يخرج

قبل أن ينخفض المد؟؟ ومع ذلك فقد قرر سرور أن يذهب إلى الكهف ويرى: من الذي سيخرج منه؟؟

وظل سرور يراقب الكهف نحو ساعتين، ولكن أحداً لم يخرج منه لأنه لم يكن به أحد، وكان الأطفال الأربعة يرونه ويضحكون، وقال طريف: لقد أحسنَّا صُنْعاً بعدم إخبار أحد بأمر الممر السري.

وقالت أنسام: ماذا نفعل اليوم؟

فقال طريف: أرى أن نطلب من خالتنا عزيزة أن تسمح لنا بأخذ غدائنا ونخرج إلى نزهة على الشاطئ لنبحث عن الرجل صاحب القارب.

وفى الطريق إلى نزهتهم شاهدوا سروراً، فصاح أسامة: هل نمت جيداً يا سرور كالأطفال الطيبين؟

٥- سمـــــير

سار الأطفال فى طريقهم، وقال أسامة لطريف: أين رأيت ذلك القارب؟!

أشار طريف إلى بعض الصخور الناتئة فى البحر، وقال: خلف تلك الصخور، ولقد كان قارباً كبيرا، وإني لأتساءل: أين يَرْسُو؟! ولا بد أن بعض الناس يعيشون بالقرب من هنا..

وقال أسامة: لا توجد منازل صالحة للسكنى بالقرب من هنا إلا أنه قد يكون هناك كوخ قديم أو شبه قديم يصلح لقضاء بعض أيام الإجازة على انفراد.

وفى تلك الأثناء كانت الببغاء كيكي تطير فوقهم وهى تقلد أصوات الطيور المختلفة، وكان أسامة قد أخذ يجمع بعض الحشرات الصغيرة، فاصطاد فراشة ثم اقتنص سحلية وضعها في جيبه.

وظل الأطفال الأربعة سائرين فى طريقهم وهم يَنْعَمُون بالهواء المنعش ورائحة الماء المالح، بينما كان صوت الأمواج وهى تتكسر على الصخور أسفل الهضبة التي يسيرون عليها تصل إليهم، ووصلوا إلى جزء بارز فسار إليه طريف وقال: إنني لا أرى قارباً هنا، فقال أسامة: هل أنت واثق أنك رأيت القارب ولم تتخيله، فليس من السهل إخفاء قارب كبير؟

وقالت إلهام وهى تشير بيدها: هناك خليج صغير فهيَّا بنَا نَنْزِلُ إليه لنستحم في مياهه.

وبدأ الجميع يهبطون الهضبة ... الغلامان في المقدمة تتبعهما البنتان، ووصلوا إلى الشاطئ في سلام، فأسرعوا يخلعون ملابسهم التي يلبسون تحتها ملابس الاستحمام واندفعوا إلى الماء، وكان أسامة سباحا ماهرا، فأسرع يسبح نحو الصخور السوداء الناتئة في وسط مياه

الخليج، فلما وصل إلى الصخور تسلقها ونظر إلى الناحية الأخرى وكم كانت دهشته عظيمة عندما وجد قاربا كبيرا خلف الصخور، ولم يكن أحد يستطيع أن يراه إلا إذا سبح إلى تلك الصخور كما فعل أسامة؛ لأن تلك الصخور تحجُبُ القارب عَمَّنْ يكون واقفاً على الشاطئ.. وتعجب أسامة من يكون صاحب القارب؟! وما الذي جعله يخفيه فى هذا المكان العجيب!؟! ثم صاح يدعو إخوانه: أسرعوا إلى هنا!!! لقد وجدت القارب خلف الصخور.

وأسرع الأطفال الثلاثة يسبحون نحو الصخرة، فلما وصلوا إليها أخذ الأربعة يفحصون القارب، فقال طريف: هذا هو القارب الذي رأيته.. ولكن أين صاحبه؟! إنني لا أرى له أثراً !

فقال أسامة: هيا بنا. اسبحوا لنَعُودَ إلى الشاطئ ونتناول طعامنا وبعد ذلك نتفرق لكي نبحث عن صاحب القارب.

وسبح الأطفال عائدين إلى الشاطئ، حيث خلعوا ملابس الاستحمام واستبدلوا بها ملابسهم وأخذوا يلتهمون طعامهم الشهي الذي أعدته لهم خالتهم عزيزة، فلما فرغوا من تناول طعامهم رأى أسامة طائراً بحريا كبيراً يقف على صخرة قريبة فقال: كم كنت أود لو إنني أحضرت آلة التصوير لكى أصور هذا الطائر !...

فقالت أنسام: يحسن بنا أن نبدأ بحثنا عن الرجل صاحب القارب وأراهن أنني سأكون أول من يجده

وتفرق الأطفال فسار أسامة مع طريف وانطلقت إلهام مع أنساء في اتجاه آخر، ولكنهما لم تلبثا أن عادتا بعد أن وجدتا أن الصخور العالية تسد عليهما الطريق.. أما الصبيان فقد تسلقا ما صادفهما من صخور حتى وصلا إلى خليج آخر صغير، وفى أثناء الطريق أضاف أسامة قوقعاً كبيراً إلى مجموعة الحيوانات التي في جيبه، ورأى الصبيان فُرْجَةً واسعة بين الصخور فقال طريف: هيا بنا نستكشف هذه الفُرْجَة ووجداها أوسع مما كانا يَظُنَّان، ووجدا يَنبوعاً صغيراً ينسابُ بين الصخور، فانحنى طريف يرتشف من مائه ثم صاح: انظر يا أسامة.

ونظر أسامة إلى حيث أشار طريف، فرأى بركة ماء صغيرة بين الصخور، وكان هناك عقب سيجارة طافياً فوق الماء. فقال أسامة: هذا يفيد أن هناك شخصاً قريباً منا.

وانطلق الاثنان وقد قوى أملُهُما بعد هذا الاستكشاف حتى وصلا إلى مكان متسع بين الصخور وجدا فيه كوخاً قديماً متهدماً بعض التهدم فقال طريف: يا له من مخبأ، ولكنه لا يصلح للسكنى في الشتاء.

وقال أسامة: هل نطرق الباب؟!

ووصلا إلى مكان متسع بين الصخور وجدا فيه كوخا قديما متهدما .

وقبل أن يرد طريف خرج شاب طويل من الكوخ، ورأى الغلامين فوقف مشدوها، وكان الشاب طويلا وسيما، يابس قميصاً وسروالا، وتبدو عليه علامات القوة، وارتاح الغلامان إليه من النظرة الأولى. وقال الشاب: أهلا وسهلا!! هل جئتما للزيارة؟؟

فقال طريف: لقد رأيت قاربك ليلة أمس فجئنا لنراك.

فقال الشاب: هذا لطيف جدا منكما. ولكن أين تسكنان؟

فقال أسامة: إننا نسكن في ذلك المنزل القديم فوق الربوة على بعد نحو كيلو مترين. ولا أظن أنك تعرفه. ولكن الشاب قال: بل أعرفه، ولكنى كنت أظن أنه لا يسكنه سوى رجل عجوز وزوجته وخادمهما.

فقال أسامة: هذا صحيح، وهذه السيدة هي خالتنا ونحن نمضى الصيف عندها مع أَخْتَيْنَا.

فقال الشاب يعرفهم بنفسه: وأنا اسمى سمير. وأقيم فى هذا الكوخ وحدي.

فقال طريف: وهل جئت إلى هنا قريبا؟؟

فقال سمير: نعم!! لقد جئت قريباً جداً لكى أقضى بعض الوقت في عزلة.

فقال أسامة: ولكن هذا المكان ليس مُسَلّياً فلماذا اخترته؟

فتردد سمير برهة قصيرة ثم قال: الحقيقة إنني من هُوَاة الطيور، وقد سمعت أن هذا المكان به عدد كبير من الطيور المختلفة.

فصاح طريف مُبْتَهِجاً: حقاً!! هل أنت من هواة الطيور؟؟ إنني أيضاً أهوى الطيور وقد رأيت عَشَرَات منهما منذ جئتُ إلى هنا، ولم أكن أراها قبل ذلك إلا فى الكتب.. مكتوباً عنها أو مصورة.

وانطلق طريف يَسْرُد على الرجل قائمة بأسماء الطيور المختلفة التي يحبها والتي رآها حتى نثاءب أسامة، ولكن سميراً بدا مغتبطا بما يسمع، وقد أعجب بحماس طريف ووفرة معلوماته عن الطيور ...

نظر طريف إلى الجزيرة وقال: إنني أتوقع أن تكون هناك أنواع نادرة من الطيور تعيش على هذه الجزيرة البعيدة. إنهم يسمونها الجزيرة الغامضة هل سمعت عنها.

فقال سمير: نعم لقد سمعت عنها.

فعاد طريف يقول: هل تأخذنا يوماً فى قاربك إليها. إن خادمنا الأسود سروراً لَدَيه قارب جميل، ولكنه يرفض أن يأخذنا معه فيه عندما يذهب للصيد.

فقال سمير: نعم سآخذكما معي وآخذ أُخْتَيْكُما كذلك - ذات يوم - فى نزهة قُرب الجزيرة لإني أعتقد أنه من المستحيل الوصول إلى الجزيرة نفسها بسبب الصخور التي تدور حولها من كل جانب.

صفق طريف طرباً وأخذ يصيح: أنسام.. إلهام ... تعالى لتتعرفا على صديقنا سمير..

٦- مفاجأة لسرور

توطدت عُرَى الصداقة بين الأطفال الأربعة وصديقهم الجديد سمير، فقد اتضح أنه شاب لطيف دَمِث الأخلاق، وما كانت تضيق نفسه بالهذَر الذي كانت تقوله كيكي، أو من الحشرات التي كانت تخرج من جيوب أسامة وتجرى على رجليه، وأخذ الجميع يمضون وقتهم فى السباحة، وعلمهم سمير كيف يسيرون القارب الشراعي، وكثيراً ما عادوا بكمية من السمك كانت تجعل سروراً يفتح فمه دهشة وعجباً، غير مصدق أن الأطفال استطاعوا صيدها من على الشاطئ. ولم يكن يُضَايِقُ طريفاً سوى أن سميراً لم يكن متحمساً للكلام عن الطيور دائماً، وإنما كان يكتفى بالإنصات إلى ما يقوله هو. وكان سمير يحضر له بعض الكتب عن الطيور. ولاحظ طريف أن الكتب جديدة لم تقرأ بعد. وفى أحد الأيام قالت أنسام ضاحكة: لو أنك رأيت منظر سرور عندما رأى السمك الذي رجعنا به أمس لضحكت كثيراً. لقد صاح: إنكم لم تصطادوا كل هذا السمك من فوق الصخور!! لابد أنكم خرجتم إلى عرض البحر في قارب!!!

فقال سمير على الفور: وهل أخبرتموه أنكم خرجتم معي ...؟؟

فهزت أنسام رأسها، وأشارت إشارة يفهم منها أنهم لم يُخبروه.

فعاد سمير يقول: هل تعلم خالتكم أو زوجها أنكم قابلتموني؟؟

فقالت أنسام: لا. ولكن لماذا لا تريد أن يعرف أحد أمرك؟

فقال سمير: لقد جئت إلى هنا لكى أقضى بعض الوقت وحيداً، ولا أريد أن يأتي إلي أحدٌ يُعكرُ صَفْوَ وحْدَتي. أما أنتم فإنكم ظرفاء وتسلونني كثيراً.

ونهض سمير قائلا: لقد نسيتُ شيئاً فى سيارتي وسأذهب لآتي به!

وصاح الأطفال الأربعة: هل لديك سيارة أيضاً؟! سنأتي لنراها.

ووجد الأطفال سيارة حديثة جميلة فوق الربوة وقد وقفت بحيث تحجبها الصخور عمن يسير فى الطريق الرئيسي، وصاح أسامة: هل تأخذني معك إلى المدينة لكى أشترى بطارية أستخدمها فى الممر السري الذي أخبرتك عنه؟؟ إن سروراً يرفض أن يصحبنا معه!

وقال طريف: أنا كذلك أريد واحدة.

وأبدت إلهام وأنسام رغبتهما فى شراء بعض الأشياء، فوعدهم سمير باصطحابهم إلى المدينة فى اليوم التالي. فقالت أنسام ضاحكة: إن سروراً سيذهب إلى المدينة غداً. وسيدهش عندما يقابلنا هناك..

وفى اليوم التالي أسرع الأطفال الأربعة لمقابلة صديقهم سمير، وركب الجميع فى السيارة الفاخرة السريعة التي انطلقت بهم مسرعة، وأخذ الأطفال يوازنون بينها وبين السيارة العتيقة التي يقودها سرور وهم يضحكون ويتندرون. فلما وصلوا إلى المدينة، نزل الجميع من السيارة، وطلب سمير من الأطفال أن يذهبوا لشراء ما يريدونه وضرب لهم موعداً يقابلهم فيه أمام أحد المطاعم الفاخرة في المدينة، ثم انصرف لبعض شأنه، وقال طريف: إنني أتساءل: أين سيذهب سمير؟! لقد كنت أريد أن أصحبه إلى محل بيع الطيور المحنطة.

فقالت أنسام: يبدو أن لديه أعمالا خاصة به فهو لا يريدنا معه الآن، فهيا بنا لنشتري ما نريد.

ولكن إلهام قالت: يا ترى! ما هو عمل سمير؟! إنه لم يحدثنا أبداً عن أعماله. وليس من المعقول أن يكون عمله هو مراقبة الطيور فقط!!!

فقال أسامة: ليس هناك ما يدعوه لأن يحدثنا عن أعماله. والآن هيا بنا لنشتري البطاريات.

ووجد الأطفال محلا يبيع البطاريات، فاشترى كل من الأربعة واحدة وهم يتخيلون الممر السري وكيف يمكنهم أن يتبيَّنُوه بهذه

الأشعة القوية المنبعثة من بطارياتهم. واشترى الأطفال كذلك بعض الأفلام التي تُناسب آلة التصوير وشيئاً من الحلوى وزجاجة عطر صغيرة لخالتهم عزيزة.

وكانت الببغاء كيكي تجلس فى أثناء ذلك كله فوق كتف طريف وهي مسرورة لاهتمام الناس بها، فقد كانوا يعجبون بهذا المنظر غير المألوف، ويقفون من بعيد يتأملون الببغاء على كتف صاحبها لا يزعجها شيء. وظل الأطفال يتسكعون بين الحوانيت بعض الوقت فى انتظار أن يأزف الموعد المضروب بينهم وبين سمير. وفجأة رأى الأطفال سروراً قادماً فى السيارة العتيقة فوقفوا وهم يرجون أن يراهم. وقد حدث أن لمح سرور أسامة أولا ثم رأى طريفاً وكيكي فوق كتفه، ثم رأى إلهام وأنسام.. فدهش جداً حتى أن عجلة القيادة أفلتت منه وكاد يصطدم بأحد رجال الشرطة، وقال طريف: لا تَفِرُّوا.. إنه لن يستطيع أن يَتْبَعَنَا بالسيارة. بل سيروا بهدوء.

وسار الأطفال بهدوء مبتعدين عن سرور غير عابئين بصياحه.. ولا سيما أنه كان يحاول أن يجد مكاناً مناسباً يضع فيه سيارته.. فغابوا عن عينيه.

وبعد جهد تمكن من إيجاد مكان يضع فيه سيارته.. ثم تركها، وأسرع يعدو خلف الأطفال لِيَلْحَق بهم. وفى اللحظة التي رآهم فيها

ثانية كان الأطفال قد وصلوا إلى المطعم الفخم الذي سيقابلون سميراً فيه، ورآهم سرور يدخلون فازدادت دهشته إلا أنه لم يجرؤ على الدخول إلى ذلك المكان الفحم. وجلس أمام المطعم وهو يفكر: كيف استطاع هؤلاء الأطفال أن يصلوا إلى المدينة ولا سيما أنه لا توجد أي وسيلة من وسائل المواصلات بينها وبين المنزل؟! ثم أخذ يعجب كيف يدخل هؤلاء الأطفال مثل ذلك المطعم الفخم؟! وقرر أن ينتظر حتى يخرج الأطفال فيأخذهم في السيارة إلى خالتهم.

أما الأطفال فقد وجدوا سميراً في انتظارهم، وجلس الجميع إلى وليمة فاخرة، وأكل الأطفال بشهية كبيرة حتى شَبِعُوا. وقالت أنسام: شُكراً لك على هذه الوليمة الفاخرة.

وقالت إلهام: إني أعتقد أنك ثرى جداً. فلديك قارب وسيارة ومعك نقود كثيرة؟!

فضحك سمير وقد أَسْعَدَهُ أنه أدخل السرور على قلوب الأطفال الأربعة، وتذكر طريف سروراً فأسرع إلى إحدى النوافذ وأطل منها بحذر فوجده لا يزال مرابطاً أمام باب المطعم، فعاد وسأل سميراً: هل هناك باب خلفي لهذا المطعم؟!

فدهش سمير وقال: نعم! ولكن لماذا هذا السؤال؟!

فقال طريف: إن عزيزنا سروراً يجلس في الخارج في انتظارنا!

فهز سمير رأسه دلالة الفهم وقال: هل اشتريتم كل ما يلزمكم؟

فأخبروه أنهم اشتروا كل ما كانوا يريدون شراءه، فطلب منهم أن يتبعوه وخرج الجميع من الباب الخلفي، وساروا إلى حيث أوقف سمير سيارته فركبوها وانطلقوا يسابقون الريح، وأوصلهم سمير إلى أقرب نقطة من منزلهم، فنزلوا من السيارة وودعوه شاكرين له أن هيأ لهم هذا اليوم اللطيف. وانطلق الأطفال يعدون فوق الصخور إلى المنزل ليصلوا قبل سرور

أما سرور فإنه لم يصل إلا بعد ساعة، وكان أول شيء رآه هو الأطفال الأربعة وهم يلعبون على رمال الشاطئ، ووقف سرور مذهولا وقد صمم على كشف سر هؤلاء الأطفال الذين خدعوه مَرَّةً بعد أخرى.

الفصل الثاني

١- خديعة سرور

ظل سرور يفكر لكي يعرف كيف استطاع الأطفال الذهاب إلى المدينة، وليس هناك شيء من وسائل المواصلات، كما أنه من المستحيل أن يذهبوا إلى المدينة سَيراً على الأقدام ثم يعودوا قبله.. وبعد تفكير طويل قَرَّرَ أنه لا بد أن يكون هناك مَنْ ساعدهم على ذلك، فَعَزَمَ أَنْ يُرَاقِبَهم مُرَاقَبَةً دقيقة حتى يكشف السر، فظل يتبَعَهم كَظلهم أينما ذهبوا، فإذا ذهبوا إلى الشاطئ ذهب وراءهم، وإذا بقوا فى المنزل بقى هو أيضاً فى المنزل ... فشعر الأطفال بضيق شديد من استمرار ملازمته إياهم. وقالت إلهام: سيظل سرور يتبعنا هكذا حتى يكشف أمر سمير وسيارته وقاربه. إننا لم نستطع الذهاب إليه اليوم، وإذا استمر الحال هكذا فلن نستطيع الذهاب إليه غداً أيضاً.

ولم يستطع الأطفال الإفلات من رقابة سرور فاجتمعوا في الليل في غرفة الصبيين ليناقشوا الأمر ... قال طريف: لقد اهتديت إلى طريقة نخدع بها سروراً.

فصاح الباقون: كيف؟! ماهي الطريقة؟!

فقال طريف: فلنذهب إلى الكهف ثم ننزل إلى الممر السري ومنه إلى سرب المنزل، ثم نخرج من الجهة الأخرى ونذهب لمقابلة سمير، وفى هذا الوقت يكون سرور فى انتظارنا على الشاطئ.

فصاح أسامة: إنها فكرة مدهشة!!!

ولم تتحمس إلهام وأنسام لفكرة النزول إلى الممر المظلم، ولكنهما وافقتا عندما ذكرهما طريف أن لديهم الآن أربع بطاريات ولن يكون الممر مظلماً.

وفى اليوم التالي ذهب الأطفال إلى الشاطئ وسرور يتبعهم ككلب الصيد الذي يطارد فريسته، ودخل الأطفال الكهف، وبقى سرور على الشاطئ، يتظاهر

بجمع الأخشاب.. وأسرع الأطفال بالنزول إلى المر السري، يبدد الضوء المنبعث من بطارياتهم الظلام، وانطلقوا فى طريقهم حتى وصلوا إلى الباب الخشبي، فدفعه الصبيان إلى أعلى ونفذا من خلاله إلى السرب ثم ساعدا أختيهما على الصعود، وذهب الجميع إلى الباب ففتحوه، فسقطت الصناديق الفارغة التي يضعها سرور أمامه. وخرجوا من الباب وأغلقوه.. ثم أعادوا ترتيب الصناديق مرة أخرى وأسرعوا إلى المطبخ، فلما وجدوه خالياً أسرعوا ينفذون من خلاله إلى خارج المنزل ثم إلى الطريق العام، وانطلقوا إلى صديقهم سمير. وكانت الصخور التي تحف بالطريق تحميهم من أن يراهم من يكون على الشاطئ، تاركين سروراً ينتظر خروجهم من الكهف. ولما وصل الأطفال وجدوا سميراً يجهز قاربه واستقبلَهُمْ قائلا: لماذا لم تحضروا أمس؟؟! لقد افتقدتكم كثيراً..

فقال طريف: لم نستطع الحضور بسبب سرور. فيبدو أنه يشك فى أن أحداً قد أخذنا في سيارته إلى المدينة، فأخذ يراقبنا لكى يكشف السر

فقال سمير: لا تخبروه بشيء؛ لإني لا أريدُ أن يأتِيَ سرور إلى هنا ... أنا أعتقد أنه شخص غير لطيف..

وقال طريف: ماذا تفعل بقاربك؟؟ هل تستعد للأبحار؟

فقال سمير: نعم! إن الجوَّ صَحْو وسأبحرُ نحو الجزيرة لكي ألقي عليها نظرة.

وكان الأطفال الأربعة يودون الذهاب إلى الجزيرة، وكان طريف أكثرهم اهتماما، فقد كان يُؤَمِّلُ أَنْ يَجِدَ طيورا نَادِرةً هناك وقالت إلهام: أَلاَ تَأخذنا معك؟؟ إننا نُريد رؤية الجزيرة.

فقال سمير: إني أنوى اصطحابكم معي.. وقد كنتُ أُرِيدُ أن أقوم بهذه الرحلة أمس، ولكني أجلتها إلى اليوم لأنكم لم تحضروا أمس..

فقال أسامة: ستكون هذه فرصة لِكَيْ نَزِيدَ مِنْ خبرتنا بتسيير القارب الشراعي.

وقال سمير: سنبدأ الرحلة بعد الظهر، فعليكم أن تفلتوا من رقابة سرور مرة أخرى.

وقالت أنسام: هل نستطيع أن ننزل على الجزيرة؟

فقال سمير: لا...! فهناك سلسلة من الصخور تلف الجزيرة من جميع الجهات، وإن هناك ممراً بين الصخور، ولكنى لا أعرف موقعه تماماً، ولا أحب أن أخاطر بحياتكم. والآن يحسن بكم أن تعودوا إلى المنزل لكى تتناولوا غداءكم مبكرين، حتى يكون لديكم مُتسَع من الوقت لكي تعودوا.

وأسرع الأطفال ينهضون منصرفين وهم يشكرون سميرا ويعدونه بإحضار شيء من الحلوى معهم، وجَرَوْا نحو المنزل، فلما اقتربوا من الشاطئ تقدموا بحذر من حافة الربوة، ونظروا إلى الشاطئ، فوجدوا سروراً لا يزال جالساً في انتظار خروجهم من الكهف، فكتموا ضحكاتهم واستأنفوا سيرهم إلى المنزل وقد استحوَذَتْ على عقولهم فكرةُ الإبحار إلى تلك الجزيرة الغامضة التي كثيراً ما قص عليهم سرور قصصا مُزْعِجَةً عنها. فلما وصلوا إلى المنزل أسرعوا إلى خالتهم يطلبون منها أن يتناولوا غداءهم مبكرين لأنهم يُزْمِعُون القيام بنزهة خلوية بعد الغداء. فأخذت خالتهم عزيزة تُمد المائدة وأخذت إلهام وأنسام تساعدانها، وجهزت إلهام مكانا لخالتها على المائدة، ولكنها اعتذرت عن عدم استطاعتها تناول الطعام معهم، لأنها كانت تحس بأنها متعبة ولا تحس برغبة في الأكل. فلما فرغ إعداد المائدة أقبل الأطفال يلتهمون الطعام التهاما، فلما شبعوا أسرعوا يَرْتَقُون الهضبة فى طريقهم إلى كوخ سمير ولم ينسوا أن يأخذوا بعض الحلوى والمرطبات معهم، وفى أثناء ذلك كله لم ير الأطفال سرورا، فقد كان لا يزال مرابطاً عند الشاطئ وهو يعجب لاختفاء هؤلاء الأطفال، وكان واثقا أنهم مازالوا فى الكهوف، وأخذ يدخل الكهوف المتناثرة على الشاطئ واحداً بعد الآخر وينادى عليهم، فلما لم يجد أحدا ولم يحصل على رد

عاد إلى المنزل ليبلغ سيدته أن الأطفال قد دخلوا الكهوف وفقدوا هناك.

وفى الحقيقة كان سرور فرحان لما أصاب الأطفال، ودخل المطبخ فوجد سيدته هناك ونظرت إليه بحدةٍ قائلة: أين كنت طِوال الصباح؟؟ لقد كنتُ محتاجة إليك، ولكنك اختفيت.

فقال سرور: لقد كنت أبحث عن الأطفال، فقد دخلوا الكهوف ولم يعودوا بعد. وقد بحثت عنهم في كل مكان، ولكنهم اختفوا نهائيا.

فقالت سيدته: لا تكن سخيفا.. فأنت تعلم جيداً أنهم لم يكونوا في الكهوف.

فقال سرور: لقد رأيتهم يدخلون وقد ظللت على الشاطئ طول الوقت ولم يخرجوا. بل ما زالوا هناك.

فقالت سيدته: كلا.. إنهم ليسوا هناك!! فقد تناولوا طعام الغداء منذ قليل وخرجوا يتنزهون. فلا تأتني بقصص سخيفة عن فقدهم فى الكهوف لكى تُبَرر كسَلَك وبلادَتك!!

ودهش سرور ولم يصدق أذنيه، ووقف مشدوها، فنهرته سيدته وأمرته بالانصراف إلى عمله، فانصرف سرور وهو يفكر: كيف استطاع هؤلاء الأطفال أن يفلتوا من رقابته وهو لم يغادر الشاطئ

طوال الصباح؟؟ وتذكر كيف أنه طارد صبيَّيْنِ في إحدى الليالي حتى دخلا الكهوف، ولكنهما لم يكونا هناك فى الصباح. وقرر سرور أن يكشف السر.

٢- الأطفال يلقون نظرة على الجزيرة

أسرع الأطفال في طريقهم حتى وصلوا إلى كوخ سمير، فوجدوه قد أعد القارب، فركبوا جميعا وخاض سمير في الماء يدفع القارب حتى ابتعد عن الشاطئ، ثم ركب وأخذ يجدف حتى ابتعد عن الصخور ثم قال: هيا أيها الصبيان. انشرا الشراع كما علمتكما.

وأسرع الصبيان ينشران الشراع بمهارة، ثم أخذا يتناوبان الإمساك بدفة القارب لتوجيهه. وقال سمير مسرورا: إنكما تلميذان ذكيان. وقد تعلمتها كيف تقودان القارب بسرعة، وأعتقد أنكما تستطيعان أن تقوداه وحدكم.

فقال طريف متحمسا: حقا!! وهل تسمح لنا بقيادته وحدنا؟؟

فقال سمير: قد أسمح لكما في أحد الأيام إذا وعدتماني بألا تُبحِرا به بعيداً جداً عن الشاطئ.

وصاح الأطفال: إننا نَعِدُك أن نفعل أي شيء تريد!

وانطلق القارب يشق الماء والهواء يملأ شراعه، وأدلت إلهام وأنسام أيديهما فى الماء البارد، وكانت الببغاء كيكي ترقب الجميع من مكانها فوق الصاري وقد فردت جناحيها لتقاوم الريح. وحدث أن نظر سمير إلى أعلى فصاحت كيكي: امسح قدميك واقفل الباب...!!

ولكن الأطفال صاحوا: اسكتي يا كيكي ولا تسيئي أدبك مع سمير فهو صديقنا، وإلا ألقاك في البحر.

فطارت كيكي هي تقلد صوت ضحكهم، وانضمت إلى بعض الطيور البحرية وهى تنصحهم بأن يستعملوا مناديلهم، ثم أطلقت صوتاً حاداً يشبه صفير القطار جمل الطيور تنر مذعورة، وعادت كيكي إلى مكانها فوق الصاري وهى مسرورة مما فعلت..

قال طريف: إنني لا أرى الجزيرة

فقال سمير وهو يشير بإصبعه: إنها في هذا الاتجاه.

ونظر الأطفال في الاتجاه الذي أشار إليه، ولكنهم لا يروا شيئاً ومع ذلك فإن حماسهم زاد وهم يحسون أن الجزيرة الغامضة التي طالما حكى لهم سرور عنها قصصاً مخيفة تقترب منهم، واشتد الهواء قليلا فزادت سرعة القارب ومضى يشُقُ الماء شَقا والرَّذَاذ يتناثر حوله والهواء يعبث بشعر إلهام وأنسام، وانتزع الهواء لفافة طباق من أصابع سمير وألقاها فى الماء، فحاول سمير إشعال واحدة أخرى، ولكن الهواء

جعل ذلك صعباً. وبعد لحظات صاح طريف: انظروا هذه هي الجزيرة!!

ونظر الجميع إلى حيث أشار طريف، فرأوا الجزيرة الصخرية التي تطل من فوقها عدة تلال، وكانت الجزيرة محاطة بسلسلة من الصخور تكونُ حَلَقَةً رهيبة تهدد أي سفينة تقترب منها، وكان الماء بالقرب منها هائجاً والأمواج متدافعة وبين حين وحين تنقض مَوْجةً على الصخور فيرتفع رذاذها إلى أعلى ...!! وقال سمير: سندور حول الجزيرة من بعيد لعلنا نجد مَدْخَلا بين الصخور!! ولكنني لن أمر منه فلا تطلبوا منى ذلك، فلست أريد أن أخاطر بحياتكم فوق الصخور التي لا أشك أن كثيراً من القوارب والسفن قد تحطمت فوقها.

ومضى القارب بحذاء شاطئ الجزيرة، واستطاع الأطفال أن يروا بعض الأعشاب تنمو هنا وهناك، وأطلت عليهم من خلال التلال بعض الأشجار المتفرقة على أرض الجزيرة، ولاحظ الأولاد أن أكثر الصخور - وخاصة المواجهة للبحر منها - ذات لون أحمر وأن أقلها لونُه أَسْوَدُ، ونظر طريف من خلال نظارته المعظمة نحو الجزيرة ثم صاح: إنني أرى أسراباً كبيرة من الطيور البحرية كما توقعت!! انظر إليها يا سمير ...! ولكن سميراً لم يترك الدفة، فقد كان يعلم أن المنطقة خطرة، وقد تدفع الأمواج القارب نحو الصخور فظل فى مكانه وقال:

صف لي ما تراه من الطيور يا طريف! لإني مشغول بتوجيه القارب فلا أستطيع أن أنظر.

وانطلق طريف يعدّد أسماء الطيور التي يراها وقال: إنني أرى آلافاً من الطيور من كل نوع. ألا نستطيع أن نرسو على الجزيرة؟! أرجو أن تجد مدخلا بين الصخور إلى تلك الجزيرة لكي نستطيع أن نرى الطيور عن قرب.

ولكن سميراً قال في حزم: كلا!! لن نُجَازِفَ بالاقتراب من الجزيرة، لأن فى ذلك مجازفة بحياتنا جميعاً، والمجازفة بالحياة من أجل رؤية بعض الطيور خَطَلُ وهَوَس ... وفضلا عن ذلك فأنا لا أعرف مكان الممر المائي الذي يؤدى إلى الجزيرة من بين سلسلة الصخور.

وربت أسامة على كتف طريف قائلا: هلا أعطيتني النظارة قليلا لكى ألقى نظرةً على الجزيرة.

فناوله طريف النظارة وهو كاره خشية أن تفوته رؤية بعض الطيور النادرة، ونظر أسامة خلال النظارة ولما لم يكن مغرماً بالطيور فقد أخذ يفحص عن الجزيرة نفسها. ثم صاح: هناك أشياء كأنها بيوت قديمة ...!! هل يسكن أحد من الناس في هذه الجزيرة؟!

فقال سمير: طبعاً.. لا!! إنها مهجورة من سنين بعيدة، ولا أدرى لماذا يعيش عليها الناس فهي لا تصلح للزراعة أو الصيد؟!

وقالت أنسام: هل ترى شيئاً من تلك الأشياء التي يخبرنا عنها سرور؟!

فضحك الجميع وقال أسامة: إنها جزيرة مُوحِشَة كئيبة ولها من اسمها نصيب كبير..

وأعطى أسامة النظارة لإلهام ثم لأنسام من بعدها، فلم يسرهما منظر الجزيرة، وظل القارب يدور حول الجزيرة متجنباً سلسلة الصخور التي تحيط بها حتى وصل إلى نقطة فى غرب الجزيرة كانت المياه فيها هادئة ولم تكن بها صخور ظاهرة على سطح الماء، فصاح طريف مشيراً إلى ذلك المكان: هذا هو الممر الذي يتخلل سلسلة الصخور إلى الجزيرة.

فقال سمير على الفور: إنني لن أجازف باجتيازه، بل إنني سأبتعد الآن عن الجزيرة إلى منطقة تكون المياه هادئة فيها كل الهدوء حتى نستطيع أن نتناول بعض الحلوى فى اطمئنان بدلا من تناولها وسط هذه الاهتزازات العنيفة التي تسببها لنا الأمواج.

وحول سمير وجهة القارب مبتعداً عن الجزيرة وقال طريف: كم كنت أود أن أنزل إلى هذه الجزيرة. إنني واثق إنني سأجد عليها بعض الطيور التي انقرضت من العالم؛ لأن هذه الجزيرة بعيدة عن

الناس ومن المحتمل أن تكون الطيور قد تكاثرت عليها في سلام دون أن يصطادها أحد.

وفى ذلك الوقت كان القارب قد وصل إلى منطقة هادئة، فطوى سمير الشراع وترك القارب يتأرجح على صفحة المياه. وأخذ الجميع يتناولون الحلوى والمرطبات، وكان سمير قد أتى معه بكمية منها أيضاً، فأخذوا يلتهمونها وكانوا قد أحسوا بالجوع بعد هذه النزهة فى الهواء الطلق النقي الذي يساعد على فتح الشهية، وقال طريف فجأة: هل نستطيع أن نبحر بقاربك مرة وحدنا كما وعدتنا؟!

فأجاب سمير: نعم تستطيعون على شَرْطِ ألا تتوغلوا كثيراً فى البحر وألا تغامروا باجتياز الممر المائي المؤدى إلى الجزيرة سعياً وراء الطيور.

واحمر وجه طريف لأن السعي وراء الطيور هو غايته من هذه المخاطرة ولم يكن فى ذهنه شيء غيرها عندما سأل السؤال.. ولكنه قال: حسناً! لن نذهب إلى الجزيرة فى قاربك، فهل نستطيع التنزه فيه وحدنا في بعض الأيام؟؟ فقال سمير: نعم! ولكن يجب أن تختاروا يوماً صحواً قليل الرياح حتى يكون البحر هادئاً، وأعتقد أنكم تستطيعون قيادة القارب بمهارة الآن.

وفرح طريف بذلك وسَرَحَ بخاطره فيما ينوى عمله، فقد قرر أن يحافظ على وعده لسمير وألا يذهب إلى الجزيرة في قاربه، ولكنه سيستمر على الخروج بقاربه حتى يتقن قيادة القارب ثم يأخذ قارب سرور ويذهب به إلى الجزيرة، فقد كان شغفه بالطيور يدفعه إلى ركوب أية مخاطرة للوصول إلى الجزيرة. وقرر طريف أن يستعمل قارب سرور وهو متأكد أنه سيستطيع أن يعثر على الممر الموصل إلى الجزيرة، فإذا ما وصل إليه طَوَى الشراع واستخدم المجدافين في عبور الممر المائي بين الصخور، ولكنَّ طريفاً لم يبح بذلك أمام سمير لأنه خشى أن يمنعه من تنفيذ خطّته شفقة منه عليه وتجنباً للمخاطرة وظل طريف جالساً في القارب المتأرجح وهو يقلب خطته في ذهنه غير عابئ بما كان الباقون يقولونه عنه؛ لأنهم رأوه شارد الفكر مهموماً، وكانت أنسام تقول: لقد طار إلى الجزيرة مع طيوره. وقال أسامة ضاحكا: يا لطريف المسكين!! لقد أنسته الطيور نصيبه من الحلوى وفقد شهيته للأكل!!

وصاح به سمير: استيقظ من أحلامك...!

وحان وقت العودة فقرر سمير أن يعودوا بدون مساعدة الشراع، بل يجدفون. وسر الأطفال كثيراً وأخذوا يتناوبون التجديف. وكان طريف أكثر هم سروراً، فقد عد ذلك بمثابة تمرين له حتى يحين

الوقت لذهابه إلى الجزيرة. فلما وصلوا قال سمير: ها نحن أولا قد عدنا بسلام..

ووثب الأطفال من القارب وأخرجت إلهام وأنسام حاجاتهم منه، وتعاون سمير وأسامة وطريف على جذبه إلى الشاطئ. وقال سمير: لقد قضينا وقتاً طيباً، فإلى اللقاء، ويمكنكم أن تحضُروا غداً إذا أردتم، وقد أترككم تخرجون بالقارب وحدكم.

فصاح الأطفال سروراً وهم يشكرونه، وأخذت كيكي تقلدهم وتقول: شكراً.. شكراً.. شكراً. وأمرها أسامة ضاحكا أن تسكت، ولكن الكلمة أعجبتها فمضت تردد: شكراً.. شكراً.. شكراً

ولما عاد الأطفال إلى المنزل سألتهم خالتهم عزيزة: هل استمتعتم بنُزهتكم؟!

فقالت أنسام: نعم...! ولكن هل زال تعبك يا خالتي؟

فقالت خالها: مازلت أشعر ببعض التعب، وسأذهب إلى فراشي مُبكّرة هذا المساء، نخذي طعام العشاء إلى عمك علَّام في مكتبته بدلا مني.

ورأت أنسام خالتها شاحبة اللون ويبدو عليها الإعياء فقالت: حسناً سأفعل ذلك.

وفى تلك اللحظة دخل سرور وأخذ يُحَدِّقُ فى الأطفال الأربعة ثم سألهم: أين كنتم؟! وأين ذهبتم فى الصباح بعد أن دخلتم الكهف؟

فتظاهر أسامة بالدهشة وقال: لقد عدنا إلى المنزل! ألم ترنا ونحن عائدون؟! وقد عدنا الآن من نزهة خلوية يا عزيزي سرور، ولكن لماذا كل هذا الاهتمام؟! هل كنت تريد أن تأتى معنا؟

فظهرت علامات الغيظ على وجه سرور وأخذ يهمهم بكلمات غاضبة غير مفهومة، فأخذت كيكي تقلده، فنظر إليها نظرة غاضبة وخرج لا يلوى على شيء. وقالت خالتهم عزيزة: لا تغضبوا سروراً فقد أصبح فظاً غير مهذب، كما أنه كسول أيضاً، فقد ظل مختفياً طول الصباح. إنني ذاهبة إلى الفراش.. سَعِدْتُم مساء ...!

وأعدَّت أنسام طعام العشاء لعمها علام، ثم قالت لطريف: ساعدني يا طريف فى حمل هذه الصينية الثقيلة إلى المكتبة.

وحمل طريف صينية الطعام وسارت أنسام أمامه إلى حجرة المكتبة ودخلت بعد أن استأذنت، وطلب منها عمها أن تضع الطعام على منضدة فى ركن الغرفة، وظل هو منحنياً على إحدى الخرائط يفحصها ونظر طريف إلى الخريطة وقال: إن هذه الخريطة لهذا الجزء من الساحل، وهذه هي الجزيرة الغامضة. أليس كذلك يا عمى؟؟!

فأومأ عمه بالإيجاب. فعاد طريف يسأله: هل ذهبت إلى هناك؟؟ لقد رأيناها اليوم ...!

فقال العم علام: لا! لم أذهب إلى هناك.

قال طريف: هل أستطيع أن أرى هذه الخريطة؟

فقال العم علام: هل أنت مغرم بهذه الدراسات؟ فقال طريف: إنني مهتم بتلك الجزيرة وحدها. فهل أستطيع أن أرى هذه الخريطة؟؟

وكان طريف يَهْدِفُ من وراء ذلك إلى معرفة مكان الممر المائي الذي يخترق سلسلة الصخور المحيطة بالجزيرة وقال عمه: إن لَدَى خريطةً أكبر من هذه تبين الجزيرة فقط ... أين هي يا ترى؟؟ وبينما كان عمهما يبحث عن الخريطة الثانية.. انحنى الاثنان على الخريطة الأولى وأخذا يفحصانها، وقال طريف لأنسام هامساً: انظري إن سلسلة الصخور التي تدور حول الجزيرة غير كاملة فى هذه الجهة وهى نفس الجهة التي عاينتها اليوم. انظري تجدى فى مواجهتها تلا عالياً إنه أعلى التلال على الجزيرة، فإذا أردنا أن نجد الممر فما علينا إلا أن نبحث عن أعلى تل فى الجزيرة فنجد الممر المائي أمامه.

فقالت أنسام: إن هذا سهل جداً على الخريطة. ولكنك تتكلم كأنك تنوى الذهاب إلى الجزيرة حقاً!!! ألم تعد سميراً بألا تذهب إلى هناك في قاريه؟

فقال طريف: ومن قال إنني سأذهب في قاربه؟؟ وفى تلك اللحظة أخبرهما عمهما أنه لا يستطيع الآن أن يجد الخريطة التي تبين الجزيرة وحدها، فخاب أمل الطفلين، ورفض العم أن يُعِيرَهُما خريطته الثمينة فقد كان يخشى عليها أن تتلف. فألقى كل من الطفلين نظرة فاحصة على الخريطة لِيَسْتَوْعِبَ تفاصيلها ثم خرجا بعد أن قالت أنسام: لا تنس عشاءك يا عمى؟!

ولكنه كان قد استغرق في عمله من جديد. وقالت أنسام لطريف: أراهنك أن عمى سينسي تناول طعامه.

وكان ما توقعته أنسام، فإنه عندما دخلت خالتهم عزيزة المكتبة في الصباح وجدت الطعام كما هو لم يُمس.

٣- حادث غريب، ورحلة ممتعة

أطلع طريف إخوته على خطته في ذلك المساء، فقابلوها بالعجب وعدم التصديق أولا ثم ما لبثوا أن تحمسوا لها. وقالت إلهام: ولكن كيف نجد الممر الموصل إلى الجزيرة؟

فقال طريف: لقد رأيته اليوم على الخريطة وكذلك رأته أنسام. وأخذ الجميع يناقشون تفصيلات الخطة غير عابئين بالببغاء كيكي التي أخذت تردد بعض كلماتهم دون أن تفهمها. وقال طريف: إنني سآخذ قارب سرور بمجرد أن أشعر إنني أصبحت قادراً على قيادة قارب سمير بمهارة.

فقال أسامة: لو علم سرور أنك أخذت قاربه فسيثور ثَوْرَةً رهيبة، فكيف نستطيع أخذ القارب دون أن يعلم؟؟

فقال طريف: لقد دبَّرْتُ أمر ذلك، ولن آخذ القارب إلا في اليوم الذي أجد فيه أن سروراً قد أخذ السيارة العتيقة وذهب إلى المدينة. فبمجرد أن يبتعد بالسيارة أبحرُ أنا بالقارب، وآمل أن أذهب ثم أعود قبل أن يعود هو من المدينة. أما إذا عاد هو قبلي فعليكم باجتذاب نظره بعيداً عن الشاطئ حتى لا يكشف الأمرَ، ويحسن أن تخدعوه بأي طريقة وتحبسوه فى السَّرَب!

وضحك الجميع وقد أعجبتهم فكرة حبس سرور فى السرب. وقال أسامة: ولكن ألن نذهب معك إلى الجزيرة؟؟

فقال طريف: إنك تستطيع أن تأتى معي طبعاً، ولكننا لن نصحب إلهام وأنسام فلست أريد أن أجازف باصطحابهما.

ولكن كلا من إلهام وأنسام قالت: إنني أريد أن أصحبكما إلى الجزيرة.

ولكن طريفاً رفض قائلا: إن وجودكما سيجعلنا نبتعد عن المغامرة، واجتيازُ سلسلة الصخور يحتاج إلى مخاطرة كبيرة.

وتفرَّقَ الأطفال وذهبوا كل منهم إلى فراشه، ولكن طريفا لم يستطع أن ينام تلك الليلة فقد بلغ به الحماس حداً جعله يتقلب في فراشه يفكر فى مغامرته المقبلة وأمله أن يعثر على بعض الطيور النادرة التي انقرضت من العالم ويحتمل وجودها على تلك الجزيرة البعيدة. ونهض طريف وذهب إلى النافذة، ونظر إلى الغرب جهة الجزيرة، وكانت الليلة غير مقمرة والظلام سائداً، ولكنه ظل ينظر إلى مكان الجزيرة، وفجأة رأى شيئاً غريباً جعله يحدق فى الظلام، فقد خُيّل إليه أنه قد رأى ضوءاً يشع من ناحية الجزيرة واختفى الضوء، ثم عاد مرة أخرى ... وتكرر ظهور الضوء واختفاؤه.. ولكن طريفا قال في نفسه: لا يمكن أن يكون هذا الضوء صادراً عن الجزيرة. ولعله يكون ضوء إحدى السفن!!

وتأهب طريف للعودة إلى فراشه، ولكنه لمح ضوءاً آخر يبدو فوق الصخور فيضئ جانباً منها، فأطل برأسه، ولكنه لم يستطع أن يرى بوضوح ما يحدث، إلا أنه تحقق أن هناك من يوقد ناراً أو يمسك

بمصباح قوى يعطى به إشارات ضوئية!! فأخذ يفكر ويسأل نفسه: لكن لمن ترسل هذه الإشارات؟! ومن الذي يرسلها؟! ولماذا؟! وقرر طريف أن يعرف حقيقة ما يحدث، فأسرع إلى ارتداء ملابسه ولبسها بخفة لئلا يوقظ أسامة، ثم انطلق يجرى على أطراف أصابعه، وخرج من المنزل وتساق الصخور، ولكنه لم يجد ضوءاً ولم يشم رائحة دخان أو نار وكان الظلام كثيفاً...!! فدهش طريف وأخذ يتجول بحذر فوق الصخور ثم أحس برعب شديد عندما أمسكت به يدان قويَّتان فجأةً وأخذنا تهزانه هزا عنيفاً، وسمع صوت سرور يقول: ماذا تفعل هنا فى هذا الوقت؟! هيا أخبرني ماذا تفعل؟!

وكان الخوف قد مَلَك على طريف حواسه فقال: لقد شاهدت ضوءها فخرجت أتبيَّنُ ما يحدث.

فضاح سرور: ألم أقل لكم إنَّ هناك أشباحاً شريرةً فوق الصخور، وإنها تُصْدِرُ أضواء وتصيح وتُوَلولُ!! ألم أمنعكم من التجول هنا فى الليل؟!

وكان طريف قد استعاد رباطة جأشه وزال خوفه، فقال لسرور: ولماذا خرجت أنت في هذا الوقت؟؟

فقال سرور وهو يهزه بعنف: لقد خرجتُ لأرى ما يحدث طبعا، فقد رأيت الضوء أنا أيضا! إن هذه الأشياء الشريرة تُحدِثُ ضجة هنا في بعض الأحيان فيجب أن تعدني ألا تخرج في الليل بعد الآن.

فقال طريف وهو يحاول أن يخلّص يَدَيْهِ من قبضة سرور: إني لن أعِدَك شيئاً. اترك يدى فإنك تؤلمني..

فقال سرور: سأسبب لك آلاماً أكثر إذا لم تعدني بما أريد، ولدى قطعةً حبل حول وسطى أحملها من أجلك أنت وأسامة، ورأى طريف أن الرجل الشرير قد أخذ يحل قطعة الحبل من وسطه، وكان الرجل قويا جداً، فحاول أن يخلّص نفسه من قبضته، وفى تلك اللحظة رأى طريف كيكي تحوم حولهما، فقد فَطِنَتْ الببغاء إلى أن سيدها غير موجود في الحجرة وكانت لا تحب الافتراق عنه، فخرجت من النافذة تبحث عنه حتى وجدته، وخطر لطريف خاطر فصاح ببغائه: كيكي! عضيه يا كيكي! عُضيه يا كيكي!

انقضت الببغاء التي كانت تكره الرجل الأسود وغرزت منقارها المعقوف فى ذراع سرور بقوة، فأطلق صرخة ألم عالية، وترك طريفاً واتجه مسرعاً نحو كيكي وصوب لها ضربة قوية، ولكنها كانت قد طارت مبتعدة وهى ترقب فرصة أخرى لمهاجمته، ثم انقضت عليه

ثانية وكانت أذنه هي هدفها في هذه المرة، فصرخ سرور متألما وصاح بطريف: أبْعِدُ هذه الببغاء وإلا قطعتُ رقبتها..

ولكن طريفا كان قد اختفى بين الصخور متجهاً إلى المنزل، فلما شعر بأنه أصبح في أمان نادى كيكي لكى تتبعه، إلا أنها لم تتبعه قبل أن تنقض على أذن سرور الأخرى فتعضها ... ثم لحقت كيكي بسيدها واستقرت فوق كتفه. وانطلق طريف إلى المنزل وهو يقول لها: احذري سروراً يا كيكي ولا تدعيه يمسك بك، لأنه إن أمسكك قطع رقبتك

وعندما دخل طريف إلى الحجرة أيقظ أسامة وقص عليه ما حدث وقال: لقد كاد يجلدني هذا الشيطان لولا أن كيكي أنقذتني ثم قال: أعتقد أن الضوء كان صادراً عن سفينة في البحر فليس هناك من يسكن الجزيرة، ولكنى لم أستطع أن أعرِف مَصْدَرَ الضوء الآخر. وقد قال سرور إن الأشياء الغريبة التي تسير في الليل فوق الصخور هي التي تصدر الضوء.

وكان التعب قد نال من طريف فاستلقى فى فراشه، وما لبث أن اسْتَغْرَقَ فى نوم عميق تَخَلَّلته بعض الأحلام، فرأى نفسه في قارب سرور يحاول الوصول إلى الجزيرة، ثم رأى سروراً يحاول الإمساك به ويشد القارب بعيداً عن الجزيرة.

وفى صباح اليوم التالي قرر الأطفال الأربعة أن يذهبوا لزيارة سمير لعله يسمح لهم باستعمال القارب وحدهم. وأمكنهم الذهاب بسهولة دون أن يتبعهم سرور فقد أصرَّتْ خالتهم على أن يقوم ببعض الأعمال فى المنزل، فاضطر أن يبقى وهو ينظر نظرات يتطاير منها الشَّرَرُ نحو طريف والببغاء كيكي كأنما يود لو يقعان فى قبضته بعيداً عن المنزل في يوم من الأيام. وانطلق الأطفال فى طريقهم فلما وصلوا قال لهم سمير: إني ذاهب إلى المدينة اليوم لأشتري مطرقة ومسامير وبعض الأدوات لكى أصلح الكوخ، فقد تهدم جزء منه بالأمس. فهل تحبون أن تذهبوا معي؟؟؟

فقال طريف على الفور: لا، ولكننا نريد أن نخرج في القارِبِ إذا لم يكن لديك مانع.

فقال سمير: تذكر وعدك لي!

فقال طريف: نعم، إنني أحافظ على وَعْدِى دائماً، ولن نَبْتَعِدَ كثيراً.

وأوصل الأطفال سميراً إلى سيارته، فلما انطلق بها عادوا إلى القارب ووجدوه فى مخبئه خلف الصخور. ولم يَدْرُوا السبب الذي يجعل سميراً يخبئه هكذا إلا أن يكون خائفاً من أن يسرقه أحد في أثناء غيبته. واضطر الأطفال أن يسبحوا إلى الصخرة التي يختفى خلفها

فلما استقر الجميع فى القارب ارتدوا ملابسهم مرة أخرى

القارب بعد أن وضعوا ملابسهم فى حقيبة لا ينفذ منها الماء أعطاها لهم سمير. فلما استقر الجميع فى القارب ارتدوا ملابسهم مرة أخرى ونشروا ملابس الاستحمام على مقدمة القارب وأخذ أسامة وطريف يجدفان حتى يبتعدا بالقارب عن الصخور، فلما تم لهما ذلك أخذا يحاولان نشر الشراع. وقال أسامة: يجب أن يكون الأمر سهلا فقد فعلنا ذلك بالأمس.

ولكنهم لم يذكروا أن سميراً كان معهم أمس وقد وجه إليهم عدةَ إرشادات مفيدة، وترجّح الشراع يمنة ثم يسرة وكاد يلقى بإلهام في الماء، فاستشاطت غضباً وصاحت بأسامة: لقد فعلت ذلك عمداً.

ثم حدث أن التف أحد الحبال حول عنق أسامة في تلك اللحظة وكاد يخنقه وصاح طريف بإلهام: أمسكي الدفة حتى أساعده

ولكن إلهام عندما رأت الخطر المحدق بأسامة نسيت غضبها وقفزت تخلصه من ورطته فقال أسامة: شكراً لك يا إلهام!! يبدو إنني أرخيت الحبال أكثر من اللازم.

ونجح الأطفال فى تسيير القارب، فمضى يشق بهم الماء وهم فرحون، وقد شعروا بأهميتهم بعد أن نجحوا في قيادة القارب الكبير وسرح طريف بخياله إلى الجزيرة وطيورها النادرة حتى لقد نسى نفسه فغير اتجاه القارب فجأة وكان مُمسكا بدفته فاندفع الشراع إلى الجهة

المقابلة وكاد يُطِيحُ برؤوس الثلاثة الآخرين وصاح أسامة: ما هذا أيها الأحمق؟

فقال طريف معتذراً: آسف، ولكنى كنت أفكر في الجزيرة وقارب سرور.

فقال أسامة: أعتقد أننا نستطيع قيادته بعد يومين أو ثلاثة من التمرين المتواصل على هذا القارب. وقد بدأت أتعود معرفة شدة الريح وسرعتها من حالة الشراع والحبال.

وظل الأطفال يشقون الأمواج بقاربهم مدة من الزمن، ثم أنزلوا الشراع وأخذوا يتدربون على التجديف واحداً بعد الآخر حتى استطاعوا فى الآخر أن يسيطروا على القارب بالمجاديف وحدها دون الاستعانة بشيء حتى الدفة. وشعروا بزهو وفخار كبيرين لذلك عادوا فنشروا الشراع ووجهوا القارب نحو الشاطئ، فلما اقتربوا رأوا سميراً يلوح لهم بيده وكان قد عاد من المدينة، ووصل الأطفال بالقارب إلى الشاطئ، في سلام، فقال لهم سمير: لقد كنت أراقبكم من فوق الصخور، وقد أثبتُم أنكم ملاحون مهرة ويمكنكم أن تخرجوا بالقارب غداً أيضاً.

فقال طريف: شكراً لك. ولكن ألا نستطيع أن نخرج به بعد ظهر اليوم أنا وأسامة، فسيكون لدى إلهام وأنسام ما يشغلهما في المنزل بعد الظهر؟؟

ولم نقل البنتان شيئاً، فقد أدركتا أن طريفا يريد أن يجرب ما إذا كان يستطيع قيادة القارب هو واسامة وحدهما استعداداً لأخذ قارب سرور إلى الجزيرة، وقال سمير:

لا مانع عندي. أما أنا فأبقى في الكوخ لكي أصلح المذياع فقد أصابه عطل.

وكان الأطفال قد رأوا عند سمير مذياعاً جميلا، ولكنه لم يكن يسمح لأحد منهم بالاقتراب منه أبداً. وشكر الأطفال لسمير ثقته بهم، وسماحه لهم بأخذ زورقه. وفجأة تذكر طريف ما حدث له في الليلة الماضية فوق الصخور، فقال لسمير: استمع لي.. وانطلق يقص عليه كل ما حدث بينه وبين سرور عندما خرج ليرى مصدر الضوء.

وقال سمير: إذاً فقد رأيت أضواء فى البحر وأخرى فوق الربوة هذا مثير حقاً.. ومع ذلك فإني أنصحك ألا تصطدم كثيراً بسرور وأن تتجنبه قدر استطاعتك، فيبدو لي أنه شخص خطر.

فقال أسامة: إنه أبله أحمق. وهو يكره الأطفال جداً!! هذا كل ما فى الأمر. لقد قضى عند خالتي عدة سنوات.

فقال سمير: حقاً!! من الغريب أن يرضى بالعمل فى ذلك المكان المنعزل!! وعلى كل حال أنصحكم بأن تكونوا على حذر منه.

وانصرف الأطفال، ولم يهتم أسامة كثيراً بتحذير سمير، ولكن طريفا قال: أعتقد أن سميراً على حق فى تحذيره، فإن سروراً يبدو خطيراً جداً في بعض الأوقات.

٤- كشف غريب

استمر الأطفال يتدربون على قيادة قارب سمير ثلاثة أيام متوالية حتى أتقنوا قيادته مثل سمير نفسه.. وفى أحد الأيام رأى الأطفال سروراً مشغولاً برفع المياه من البئر فى الفناء الخلفي المنزل، فأسرعوا نحو الشاطئ لكى يلقوا نظرة فاحصة على زورقه وليتأكدوا مما إذا كانوا يستطيعون قيادته كما يقودون زورق سمير، فوجدوه أكبر قليلا من زورق سمير، ولكنهم يستطيعون الإبحار به وقال طريف: كم أَتُوقُ إلى أن أبحر بهذا القارب إلى الجزيرة.

وأعلنت خالتهم في ذلك اليوم أن سروراً سيذهب إلى المدينة فى اليوم التالي لشراء ما يلزم المنزل. وقالت لهم: إذا كنتم تريدون شيئاً فأضيفوه إلى القائمة ليحضره لكم سرور.

وأسرع كل منهم يكتب ما يريد من أفلام لآلة التصوير، أو أحجار جديدة للبطارية. وأقبل اليوم التالي وانتظار الاطفال رحيل سرور بفارغ الصبر. وأخيراً ركب سرور السيارة العتيقة وكأنه كان يحس أنهم يستعجلون رحيله، فقال لهم: لا تُوقِعوا أنفسكم في الأخطار حتى أعودَ!!

فقال أسامة: نحن لا نوقع أنفسنا فى الأخطار أبدا.. فلا تَتَعَجَّلْ عَوْدَتكَ. فإننا سنقضى وقتاً جميلا بدونك.

فزمجر سرور غاضباً، ثم انطلق بالسيارة. وما كاد يختفى حتى أسرع الأطفال نحو القارب ووَثب طريف وأسامة إليه، وتعاونت إلهام وأنسام في دفع القارب، وهما تودان لو تركبان معهما. وقالت أنسام وإلهام: خُذَا حِذْرَكما وانتبها جيداً للصخور ولا تخاطرا بحياتكما.

وأجاب الصبيان بالإيجاب، واستقرت كيكي على كتف طريف وهى تنصح الجميع بإغلاق الباب واستعمال مناديلهم.

وأخذ الصبيان يجدفان حتى ابتعد الزورق عن الشاطئ الصخري، ثم نشرا الشراع فانطلق الزورق منزلقا فوق سطح المياه، وكانت الرياح مناسبة وامتلأ الشراع بالهواء، وسرعان ما أخذ الزورق يبتعد عن الشاطئ، وقالت أنسام: هل تعتقدين يا إلهام أن طريفاً سيجد تلك الطيور التي يتحدث عنها؟؟

فقالت إلهام: كلا!! لا أعتقد أن طيوراً مُنقَرِضَةً تعيش على الجزيرة وإنما هي طيور عادية.

وأما الصبيَّانِ فبالرغم من أنهما وجدا أن قارب سرور أثقل وأكبر من زورق سمير فإنهما نجحا في قيادته وبدأ يستمتعان برحلتهما.

وقال طريف: ليس هناك ما هو أمتع من نزهة في قارب.

وخال الزورق منطلقاً بهما حتى اقتربا من الجزيرة فقال أسامة: إن الأمواج تندفع بشدة نحو الصخور المحيطة بالجزيرة فيحسنُ بنا أن نَدُورَ حول الجزيرة من بعدِ حتى نَجِدَ التل العالي الذي أخبرتنا عنه.

ووجه الصبيان القارب حول الجزيرة، ولكنهما أدركا أن تعيين موقع التل على الطبيعة صعب، فقد بدت جميع التلال متشابهة في الارتفاع، فطوى الصبيان الشراع وأخذا يجدفان مقتربين قليلا من الجزيرة وفجأة صاح طريف: ها هو ذا التل العالي.. جدف نحوه يا أسامة.

وعندما أصبح الزورق فى مواجهة التل رأى الصبيان فجوة في الصخور تؤدى إلى المياه الهادئة المحيطة بالجزيرة، وكان الممر ضيقا، ولكنه يكفى لمرور القارب، فاتَّجَها إليه وقال أسامة: كُن على حَذَرٍ يا طريف لئلا تدفعنا الأمواج فوق الصخور. أو يكون هناك بعض الصخور تحت سطح الماء فَتَشُقُ قاع القارب!!

وأخذ الاثنان يجدفان بحذر بين الصخور حتى توسطا الممر المائي، وشعر أسامة بشيء يَحْنكَ بقاع القارب فقال: هل سمعت هذا الصوت يا طريف؟؟

فقال طريف: نعم!! ويبدو أننا احتككنا بطرف صخرة تحت الماء، ولكنها كانت خفيفة.

وأخيراً نجح الصبيان فى الوصول بالقارب إلى المياه الهادئة خلف الصخور، فوجدا ما يشبه قناة من المياه الزرقاء الصافية تحيط بالجزيرة، وكان صوت الأمواج الصاخبة لا يزال يصل إلى سمعهما وهى تَتَكَسَّرُ على الحاجز الصخري فى الخارج، وأخذا يبحثان عن مكان مناسب لكى يَرْسُو القارب فيه. وكان شاطئ الجزيرة صخرياً، ولكنهما وجدا خليجاً رملياً صغيراً فتوجها إليه. ورسا القارب وتعاون الاثنان على جذبه إلى الشاطئ وتسلقا الصخور التي تفصل بين الشاطئ والجزيرة نفسها. وكان أول ما لفت نظرهما آلاف الطيور التي كانت تعيش هناك، فهي أنواع وأشكال وألوان كثيرة. واقترب الطفلان منها، ولكنها أسرعت بالفرار فتضايق طريف وقال: لقد كنت أظن أنها لن تخافنا، فكل الكتب التي عندي تقول إن الطيور التي تعيش فى الجزر المهجورة بعيداً عن الإنسان تكون أليفةً وَلا تَفِرُّ مِنَ الإنسان.

ورأى الصبيان بعض الأشجار القليلة تنمو هنا وهناك. وتَوَجهَ الصبيان إلى التَّل العالي فى قلب الجزيرة التي يتكون معظم أجزائها من الصخور الجرداء، وكانت أصوات آلاف الطيور تملأ آذانهما، وكان طريف يشعر بخيبة أمل شديدة لعدم عثوره على غير الطيور المألوفة المعروفة فى كل مكان. وأخيراً قال: حسنا!! هيا بنا نرى تلك الأكواخ القديمة التي رأيتها من خلال نظارتي، وأظن أنها كانت بالقرب من ذلك التل المرتفع.

فقال أسامة: هيا بنا إذاً نستكشف الجزيرة...! إنها تعتبر جنة الطيور البحرية. إنني لم أر مثل هذا العدد الهائل من الطيور قبل ذلك.

ووصل الطفلان إلى سلسلة التلال ووجدا ممراً بينها فاجتازاه، فوجدا وادياً صغيراً تنمو فيه بعض الأعشاب والأزهار البحرية، ووجدا كذلك ينبوعاً صغيراً من الماء، ولكنهما لاحظا أن الماء يميل لونه إلى الحمرة. وقال طريف: انظر إلى هذه الصخور ولونها الأحمر الغريب!! إنها تشبه صخور الجرانيت

وقال أسامة: إنني لا أحب هذه الجزيرة.. إنها تجعلني أحس بالوحدة والحزن.

فضحك طريف وقال: إنك تأثرت بكلام سرور.

ولكنه لم يتمالك أن شعر بنفس شعور أسامة، فقد كانت الجزيرة موحشة كئيبة، وكانت الأصوات الوحيدة التي تسمع فيها هي صوت الرياح وصوت آلاف الطيور التي تعيش فوقها. وتسلق الصبيان جزءا من التل ليريا الأكواخ القديمة، ولكنهما وجداها متهدمة ولا يبدو عليها أنها كانت تصلح للسكنى، وبالقرب من أحد هذه الأكواخ المتهدمة كشف أسامة شيئاً غريباً، فأسرع ينادى طريقاً ليريه إياه قائلا: طريف!! طريف!! انظر!! هنا ثقب هائل في الأرض ويظهر أنه عميق جداً.

وأسرع طريف إليه، ونظر الاثنان فوجدا حفرة يبلغ قطرها نحو مترين ولا يظهر لها قرار وقال أسامة: هل هي بئر؟؟

وألقى حجراً فيها لعله يسمع صوت الماء، ولكنهما لم يسمعا شيئاً. فقال أسامة: يا ترى هل كانت بئراً ثم جفت مياهها؟ هل هي بئر عميقة عمقاً شديداً لا يجعل صوت الماء يصل إلينا حينما نلقى فيه حجرا؟!

انظر!! انظر!! هناك سلَّم مثبت فى الجدار متجه إلى جوف الأرض إنه سلّم قديم متآكل.

فقال طريف: فلنتجول قليلا لعلنا نجد ما يكشف سر وجود مثل هذه الحفرة العجيبة والسلم النازل فى جوف الأرض.

٥- سرور غاضب

ازدادت دهشة الصبيين عندما عثرا على عدة فجوات تشبه البئر الأولى، وكانت كلها قرب تلك الأبنية المتهدمة. وقال طريف: لا يمكن أن تكون كلها آباراً. ولا بد أن تكون قد حضرت لسبب غير الماء.

فقال أسامة: هل تظن أنها مناجم؟؟ فالمناجم يكون لها مثل هذه الفتحات عادة.

فقال طريف: نعم قد تكون هذه الفتحات مؤدية إلى مناجم، ولا شك أن عمى علاماً يعرف الحقيقة، ولكنه يكون شيئاً مثيراً لو كانت هذه مناجم ذهب!!

فقال أسامة: حتى لو كانت مناجم ذهب فلا بد أن تكون قد استهلكت منذ زمن بعيد، ولو لم تكن قد استهلكت لظل الناس يستخرجون الذهب منها حتى الآن.. هل ننزل في إحدى هذه الفتحات لنرى ماذا هناك؟؟

فقال طريف: لا أدرى!! إن درجات السلم تبدو قديمةً متآكلة، وإذا سقطنا فستكون نهايتنا هنا...!!

فقال أسامة: هذه فتحة أكبر من الباقيات وسلمها يظهر متينا..

وقرر الصبيان أن ينزلا، ولكنهما بعد أن قطعا مسافة لم يشعرا باطمئنان كبير، لأن الظلام الذي يخيم على الفجوة حالك جدا، فأسرعا بالصعود، ولكنهما ما لبثا أن كشفا شيئاً أغرب من الفتحات، فقد وجدا بجوار إحدى الصخور كومة كبيرة من علب الطعام المحفوظ بعضها صدئ وبعضها لا يزال يلمع مما يدل على أنه جديد.. وطارت كيكي إليها لعلها تجد فيها شيئاً يؤكل وقال طريف: هذا عجيب!! من الذي يأتي إلى هذه الجزيرة؟! ولماذا؟! وأين يعيش؟

فقال أسامة: إنه سر غامض؟! فلنقُم بجولة استكشافية لعلنا نعثر على أحد، ويحسن أن نكون على حَذَرٍ، فمن الواضح أن هؤلاء. الذين يأتون إلى هنا يريدون أن يبقى سرهم في طي الكتمان

وقام الصبيان بجولة في أنحاء الجزيرة، ولكنهم لم يعثروا على أحد ولم تقع أعينهم على أي شيء يُزِيلُ الغموض الذي يكتنف كُومَةَ العُلَبِ الفارغة، وتعجب الطفلان لذلك، وزاد من عجبهما ذلك اللون الأحمر الذي يكسو الصخور ويلون ماء الينبوع. وأخيراً عادا أدراجهما وتمهل طريف قليلا ليلتقط بعض الصور للطيور، ثم قال فجأة: لقد خطر لي أن ألتقط صورة لهذه العلب الفارغة فقد لا تصدقُ إلهام وأنسام هذه القصة الغريبة، ولكهما ستصدقان عندما تريان صورة العلب.

أن تم له ما أراد توجه الاثنان إلى الشاطئ وقال طريف: أرجو أن تكون رحلتنا في العودة ناجحة مثل رحلتنا ونحن قادمان يا تُرى هل عاد سرور؟! ودفع الصبيان القارب إلى الماء وأخذا يجدفان نحو الممر بين الصخور، ونجحا في تفادى الصخرة التي احتكت بقاربهما، فلما خرجا إلى البحر نشرا الشراع فاندفع الزورق يشق الماء متجهاً نحو المنزل، وكان كل ما يشغل بال أسامة وطريف هو: هل عاد سرور؟! هل كشف غياب القارب؟! وظل القارب منطلقا حتى اقترب من المنزل، فشاهد الصبيان إلهام وأنسام تنتظران على الشاطئ، فلوحا لهما بأيديهما، وسرعان مارَسَا الزورق على الشاطئ وقالت إلهام: هل وجدتما الطيور؟؟

فقال الصبيان فى الوقت نفسه: هل عاد سرور؟

وكان السؤال الثاني هو الأهم، فقالت إلهام ضاحكة: نعم. لقد عاد منذ نحو ساعة وكنا نراقبه أنا وأنسام، ولحسن الحظ نزل مباشرة إلى السرب، وكان يحمل بعض الصناديق وذهب إلى المخزن الخلفي الذي نحتفظ بمفتاحه ودخل، فأسرعنا بإحضار المفتاح، وأغلقنا الباب عليه، وهو هناك يدق الباب ويحاول الخروج بلا جدوى.

وضحك الجميع، وقال أسامة: حسناً فَعَلْتُما!! ولكن كيف نستطيع أن نخرجه دون أن يعلم أننا نحن الذين سَجَنَّاهُ؟؟

فقالت إلهام: عليكما أن تفكرا فى تخرج من هذا المأزق!!

وسار الجميع نحو المنزل وهم يفكرون، وأخيراً قال أسامة: أرى أن أتسلل إلى السرب وأنتهز فرصة يكون سرور فيها يستريح من عناء مُحاولة فتح الباب وأدِيرَ المفتاح فى الباب وأتسلل صاعداً بسرعة. وعندما يحاول فتحه مرة أخرى ينفتح الباب دون أن يعلم كيف انفتح.

ووافق الجميع على هذه الفكرة فقد بدت فكرة بسيطة يمكن بها إطلاق سراح سرور دون أن يعلم حقيقة ما حدث. وأخذ أسامة المفتاح وتَسَلَّل بهدوء جداً إلى السَّرَب فوجد سروراً يدق الباب ويهزه، فانتهز الفرصة ووضع المفتاح فى ثقب الباب ثم انتظر. وبعد قليل كف سرور عن الطَّرْق ليستريح، وأخذ يسعل فأسرع أسامة بإدارة المفتاح ثم سحبه، وأسرع يغادر السَّرَبَ. وأصبح الباب مفتوحاً ويستطيع أن يخرج وقتما يشاء. وكان أسامة قد وصل إلى المطبخ، وانضم إلى إخوته، وقال وهو يلهث: سيخرج سرور بعد دقيقة، فهيا بنا نتسلق الربوة حتى إذا رأيناه قد خرج نعود ثانية متظاهرين بأننا قد عدنا لتونا من نزهتنا!

وأسرع الجميع ينفذون ما اقترحه أسامة، واستلقوا على حافة الربوة ينظرون إلى المنزل فى انتظار ظهور سرور. وأخذ أسامة وطريف

يقصان على أختيهما ما رأياه من ينبوع الماء الأحمر والفتحات التي فى الأرض والعلب الجديدة الفارغة.

وقال طريف: يجب أن نعود مرة أخرى إلى الجزيرة، ونرى إلى أين تؤدى تلك الفتحات، وربما كان عمنا علام يعرف شيئاً عنها.

فقالت أنسام: لا شك أنه يعلم، وكم أود لو نعثر على تلك الخريطة التي قال لنا عنها.

وفى تلك اللحظة أحدثت كيكي صوتاً يشبه صغير القطار، وكان هذا يعنى أنها رأت عدوها سروراً. ورأى الأطفال سروراً، فأسرعوا

يهبطون من الربوة متظاهرين بأنهم عائدون من نزهتهم، ورآهم فصاح بهم: لقد أغلقتم الباب على...

فقال أسامة متظاهراً بالدهشة: أغلقنا عليك الباب: أي باب؟! باب غرفتك؟

فصاح سرور: باب السَّرَب!! وسأخبر خالتكم.. فأنتم تستحقون الجلْدَ...

وفى هذه اللحظة خرجت خالتهم لترى سبب الضجة، فقال سرور: لقد سجنني هؤلاء الأطفال فى السرب.

فقالت خالتهم: لا تسكن غبيا. فأنت تعلم أن السرب ليس له قفل، فكُفَّ عن اتهامهم كذباً. ثم ... ألا ترى أنهم عائدون من الخارج؟

وتذكر سرور أن السرب ليس له قفل حقيقة، وأن المخزن السري الذي أخفاه هو عن الجميع خلف كومة الصناديق الفارغة هو الذي له قفل، ولذلك آثر السكوت حتى لا تنزل سيدته إلى السرب لتحقق ما حدث فتكشف سرة.

وأمرت الخالة سروراً بالانصراف إلى عمله، فانصرف مُزمجراً، فأسرعت كيكي تقلده. وقالت الخالة: يبدو أنه يبدو أنه يزداد غفلة وحمقا..! ولكنه غير مؤذ.

وعاد الأطفال إلى المنزل وهم يبتسمون لنجاح خطتهم وقال طريف: عجباً!! إن خالتي عزيزة تقول إن سروراً غير مؤذ!! بينما يقول سمير إنه شخص خطير. ولا بد أن أحدهما مخطئ فى رأيه.. يا ترى!! من منهما على صواب؟

الفصل الثالث

١- إلى الجزيرة مرة أخرى

أخذ الأطفال الأربعة يتشاورون فيما إذا كانوا يخبرون سميراً بأنهم قد ذهبوا إلى الجزيرة أو لا يخبرونه. وكانوا يخشون أن يعتبر ذهابهم إلى الجزيرة نكثًا للوعد الذي وعدوه إياه، مع أنهم لم يستخدموا قاربه، ولكنهم أخذوا قارب سرور. وقدر الأطفال أنه قد يغضب منهم غضباً شديداً.. فهو مُتمسك بالأخلاق الطيبة وتنفيذ العهود والمواثيق وقرروا أن هذا جميل منه، وقال طريف: كذلك نحن متمسكون بوعودنا محافظون على عهودنا ونحن لم ننكث وعدنا، وإنما وجدنا طريقاً آخر لتنفيذ هدفنا.

فقالت أنسام: إن الكبار لا يفكرون كما نفكر نحن، وأعتقد أننا عندما نكبر سنفكر مثلهم، ونرجو ألا ننسى كيف يفكر الأطفال عندما نصبح كباراً.

وفى تلك اللحظة سمع الأطفال صوت عمهم علام ينادى، فأسرعت أنسام لترى ماذا يريد، فقال لها: لقد فرغ الحبر من محبرتي فأحضري لي حبراً.

وأسرعت أنسام بإحضار الحبر وذهبت به إلى عمها في مكتبته وفي أثناء خروجها رأت خريطة على أحد المقاعد وكانت هي نفسها الخريطة التي بحث عنها عمها قبل ذلك ولم يجدها وكانت تظهر عليها بوضوح كل تفاصيل الجزيرة. فقالت انسام لعمها: هل كانت هناك مناجم في تلك الجزيرة يا عمى؟!

فأجاب عمها: نعم.. لقد كانت هناك مناجم للنحاس، ولكن ذلك كان منذ عشرات السنين وقد نَفَدَ كل ما بها من النحاس.

وخرجت أنسام من المكتبة بعد أن التقطت الخريطة وأخذتها معها، ثم أسرعت تعدو وصعدت فى السلم وَتُباً، ودخلت الحجرة مُنْدَفِعَةً، فدهش إخوتها، ولكنها صاحت تقول: انظروا!! لقد حصلت على الخريطة القديمة التي تبين تفاصيل الجزيرة. وقد أخبرني عمى علام أنه كان بالجزيرة مناجم من النحاس غنيةٌ، ولكنها استهلكَتْ الآن ونفد كل ما كان فيها، ولا شك أن هذه الفتحات التي رأيتماها إنما تؤدى إلى جوف تلك المناجم.

وصاح أسامة وهو ينشر الخريطة: إنك فتاة رائعة يا أنسام!!

وانحنى الأطفال الأربعة فوق الخريطة وقالت أنسام: هذه هي الفجوة التي بين الصخور المحيطة بالجزيرة.

فأوماً الصبيان برأسيهما إيجاباً. وقال طريف: أعتقد أن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان يستعمله عمال المناجم فى الوصول إلى الجزيرة وفى إخراج النحاس. وقال أسامة: انظروا!! إن جميع الفتحات المؤدية إلى داخل المناجم موضحة على الخريطة، وهذه هي الفتحة التي وجدنا بجوارها علب الطعام الفارغة، وهذا هو ينبوع الماء، وقد أدركت الآن لماذا كان ماؤه أحمر. إن رواسب النحاس هي التي لونت الماء وجعلته أحمر.

فقالت إلهام: لعله ما زال هناك نحاس في هذه المناجم!! كم أود أن أعثر على بعض سبائك النحاس!!

فقال أسامة: إن النحاس يوجد على هيئة عروق، ولكنى أعتقد أنه يوجد أيضاً على هيئة سبائك فى بعض الأحيان، ولا ريب أنها عظيمة القيمة. إني أقترح أن نذهب مرة أخرى إلى الجزيرة وننزل إلى جوف المناجم، فلعلنا نجد بعض النحاس، فما رأيكم؟!

فقال طريف: لو أن به نحاساً إلى الآن لما هجروه منذ عشرات السنين.

وقالت إلهام فجأة: هناك شيء ملتصق بظهر الخريطة!!

فقلب الأطفال الخريطة فوجدوا خريطة أصغر من الخريطة الأولى، ولكنهم لم يتبينوا سوى خطوط متعرجة لا عدد لها، فلم

وقال أسامة : « انظروا !! إن جميع الفتحات المؤدية إلى داخل المناجم موضحة على الخريطة

يستطيعوا تفسيرها، وأخيراً صاح أسامة: إنها خريطة تبين ممرات المناجم تحت الأرض ويبدو أن هناك جزءاً كبيراً من تلك المناجم واقع تحت مستوى سطح البحر. ثم استطرد يقول بحماس كبير: يجب أن نذهب إلى الجزيرة مرة أخرى فأنا أعتقد أن هناك ناساً يعملون في تلك المناجم الآن...!

فقالت إلهام: وما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟ !

فقال أسامة: علب الطعام الفارغة!! فهناك من يأكل الطعام الذي كان فى تلك العلب الفارغة، ولكننا لم نعثر على أحد في الجزيرة. فأين يكونون إذن؟؟ فى جوف المناجم طبعاً. وأراهن أن هذا هو حل اللغز.

فقالت أنسام: فلنخبر سميراً بالأمر، ونطلعه على هذه الخريطة فربما أتى معنا، فأنا لا أحب أن ننزل المناجم وحدنا.

ولكن طريفاً قال فجأة: كلا لن نخبر سميراً

فنظر إليه الباقون في دهشة وقالت أنسام: ولماذا لا نخبره؟؟

فقال طريف: لقد خطرت لي فكرة ... وهى أن هؤلاء الناس الذين يعملون في المناجم الآن سرًّا لا بد أن يكونوا أصدقاء سمير، وقد أتى هو إلى هنا ليكون بالقرب منهم، وأعتقد أنه يستعمل قاربه فى حمل الطعام إليهم ولذلك فلن يَسُرَّهُ أن يدرك أننا قد كشفنا سره.

فقال أسامة: إنك تبالغ كثيراً. فقد أتى إلى هنا ليقضى إجازته. وهو يحب مراقبة الطيور !

فقال طريف: كلا!! إنه لا يراقب الطيور ولا يتحدث عنها أبدا وإنما يكتفى بالاستماع إلى ما أقوله أنا عنها. كما أنه لم يخبرنا أبدا عن عمله. وأعتقد أن أصدقاءه يستَغلُّون المناجم سرا دون علم أصحاب المناجم الأصليين.

وسكت طريف فأخذت كيكي تردد الكلمة الجديدة التي سمعتها: نحاس! نحاس !

وقال أسامة: فلنذهب إلى الجزيرة في قارب سرور مرة أخرى، وننزل من خلال الفتحة الكبيرة ومعنا هذه الخريطة حتى لا نضل طريقنا تحت الأرض. ونرى بأنفسنا ما يحدث هناك وتتحقق إن كان هناك أحد يعمل في المناجم الآن. وأعتقد أن رحلتنا ستكون سهلة هذه المرة ما دمنا قد مررنا من خلال الصخور بنجاح فى المرة السابقة ولذلك فلا مانع من اصطحاب إلهام وأنسام هذه المرة

وتحمست الفتاتان للرحلة، ولكن سرورا لم يذهب إلى المدينة أياما كثيرة وخرج بقاربه إلى البحر عدة مرات، وفى كل مرة كان يرفض اصطحاب الأطفال معه.

ثم ذهب سرور في أحد الأيام إلى المدينة. وقالت خالتهم عزيزة لقد طلب سرور إجازة اليوم. فعليكم أن تجلبوا لنا الماء من البئر.

وأسرع الأطفال إلى البئر يتعاونون في رفع الماء بالدلو منها، وقال طريف: إن هذه البئر تشبه تلك الآبار المؤدية إلى المناجم على الجزيرة.

وأنجز الأطفال ما طلبته منهم خالتهم بسرعة، وطلبوا منها أن تعد لهم غداء خفيفا في سلة صغيرة لأنهم يُزْمِعون القيام بنزهة خَاوِيَةٌ. وأسرعوا إلى مكان السيارة العتيقة، فلما تأكدوا أنها ليست موجودة اطمأنوا إلى أن سرورا قد ذهب إلى المدينة، فأسرعوا إلى القارب وأخذ أسامة وطريف يجدفان حتى ابتعدا عن الصخور فنشرا الشراع وانطلق القارب منزلقاً على صفحة المياه نحو الجزيرة. وسأل أسامة: هل أحضرتم البطاريات؟؟

فأجابت إلهام: نعم!! إنها فى سَلَةِ الطعام. فلا شك أننا سنحتاج إليها فى استكشاف تلك المناجم القديمة.

وظل الزورق منطلقا بهم حتى وصلوا إلى الجزيرة وداروا حولها حتى صاح طريف: هذا هو التل العالي.

فقال أسامة: فانخفض الشراع ثم نجدف.

ونزل الشراع وأخذ أسامة وطريف يجدفان حتى وصلا إلى الفتحة التي تتخلل الصخور، ثم بدأ الزورق يعبر ذلك المضيق المائي

والطفلان يحاذران من أن يصطدما بتلك الصخرة المختفية تحت سطح الماء، وبالرغم حذرهما فقد أحس الجميع بالصخرة وهى تمس القاع مسا خفيفاً. فظهر الخوف على إلهام وأنسام، ولكن الزورق وصل إلى منطقة المياه الهادئة المحيطة بالجزيرة، فتنفست الفتاتان الصعداء.

وسرعان مارسا القارب، وتعاون الجميع على جذبه إلى رمال الشاطئ، وقال طريف: والآن هيا نحو تلك التلال. انظروا إلى هذه الآلاف من الطيور. وسار الجميع عبر الممر الذي يتخلل التلال ولم يلبثوا أن وصلوا إلى الينبوع ذي الماء الأحمر، فصاحت الفتاتان متعجبتين، ثم ما لبث الجميع أن وصلوا إلى الأكواخ المتهدمة وفتحات الآبار الموصلة إلى جوف المناجم. وأطل الجميع في الحفرة الكبرى، وكان من الواضح أن السلم المثبت في جدار هذه البئر فى حالة جيدة جداً، وليس كالآبار الأخرى. وقال أسامة: يبدو أن هذا السلم هو الذي يستعمله الرجال في النزول والصعود، فهو الوحيد الذي يبدو عليه أنه متين !

فقال طريف هامساً: لا ترفع صوتك هكذا، وإلا سمعك بعضهم.

وقالت إلهام: أين هي العلب الفارغة التي أَخْبَرَتْمَانَا بأمرها؟؟

فقال أسامة: هناك تحت تلك الصخرة البارزة. فاذهبي وشاهديها.

وأضاء أسامة بطاريته داخل البئر، ولكن ضوءها لم يصل إلى بعيد، وعندئذ عادت إلهام تقول: إنني لم أستطع أن أجد العلب الفارغة. وصاح أسامة: انظر يا طريف!! لقد اختفت العلب فمن الذي أخذها؟! إن هذا يدل على أن بعض الناس جاء إلى هنا بعدنا...!!

٢- في مناجم النحاس

تلفتت إلهام وأنسام حولهما كأنما تتوقعان أن يفاجعهما أحد من الناس. وقالت إلهام: إنني لا أشعرُ باطمئنان وأنا أعلم أن هنا بعض الناس الذين لا نعلم عنهم شيئاً...!

فقال طريف: لا تكوني حمقاء. فهم في جوف المناجم الآن. هل ننزل الآن ونبدأ استكشافنا؟

ولم تكن إلهام تريد النزول إلى المنجم، ولكنها عادت ففضلت النزول على البقاء مع أنسام وحدها، فلما رأت أنسام ذلك فضلت أن تنزل هي الأخرى على أن تبقى وحدها. ونشر الأطفال الخريطة التي تبين تفاصيل ممرات المناجم بينهم وأخذوا يدرسونها. وقال أسامة: إن هذه البئر تهبط بنا فى وسط مجموعة من الممرات المتشابكة. فإذا اتبعنا هذا الممر الكبير الذي يبدو عليه أنه ممر رئيسي وصلنا إلى الجزء الذي يقع تحت سطح البحر.

وقالت أنسام: لا أريد أن نذهب إلى هذا الجزء تحت البحر

ولكن الثلاثة الباقين وافقوا على الذهاب، فانحسم الأمر. وقال طريف لكيكي: إذا جئتِ معنا فلا تحدثي أي صوتٍ وإلا كَشِف أمورنا، فالزمي الصمت.

واستعد الأطفال للنزول، ولكنهم شعروا بشيء من الخوف، ولكن أسامة تقدمهم وبدا ينزل فى السلم وهو يقول: لن يحدث شيء لنا. وحتى إذا كشفوا أمرنا يمكننا أن نُخْبِرَهُم أننا قدمنا إلى هنا لنبحث عن الطيور النادرة لطريف. وأننا أصدقاء لسمير.

وتبعه الباقون حتى وصلوا إلى منتصف البئر وعندئذ تمنى الجميع لو أنهم لم يقدموا على النزول إلى المنجم، فقد كانت البئر أعمق مما تصوروا بكثير، ولكنهم واصلوا النزول حتى قال أسامة: لقد وصلت إلى القاع.

وتبعه الآخرون بعد قليل وجلست إلهام وأنسام على الأرض لفرط تعبهما، ووجد الأطفال أنفسهم فى ممر مُتَّسع ذي سقف وجدران صخرية، لها بريق نحاسي وقال أسامة: سَنَتَّبِعُ هذا الممر الرئيسي.

وحول طريف ضوء بطاريته إلى ممر فرعى وقال: لقد سقط سقف هذا المر فلا نستطيع السير فيه، حتى لو حاولنا ذلك.

قالت إلهام وهى تنظر إلى السقف الذي فوقها فى جزع: آمل ألا يسقط هذا السقف أيضاً فوق رؤوسنا.

وقال طريف: إننا فى أمان تام هنا فالجدران الصخرية تبدو متينة.

وقالت إلهام: أليس عجباً أن يكون الهواء صالحاً للتنفس على هذا العمق الكبير؟

فقال أسامة وهو يحاول أن يتذكر كيف تصمم أساليب التهوية فى المناجم: إن من أول الأشياء التي يعتنى بها المعدِّنُونَ أن يُيَسرُوا سبيل التهوية فى المناجم حتى يظل الهواء مُتَجَدِّدًا نقيا داخل المنجم، كما يعتنون بتوفير الأجهزة اللازمة لنزح المياه التي ترشح داخل المنجم، حتى لا تعوق أعمالهم.

وسار الأطفال فى طريقهم حتى وصلوا فجأة إلى ما يشبه الكهف المتّسع وقد بدت آثار آلات العمال وفؤوسهم في أماكن متعددة من جوانبه. والتقط طريف مطرقة صغيرة وقال: لقد وجدت مطرقة برونزية، ولا شك أن المعدنين كانوا يستخدمونها فيما مضى، وسأحتفظ بها حتى أريتها لزملائي في المدرسة، حينما أعود إليها بعد العطلة.

وأخذ كل من الثلاثة الباقين ينظر حوله ويدير ضوء بطاريته فى كل اتجاه لعله يجد شيئاً يحتفظ به أيضاً. واستطاعت إلهام أن تعثر على شيء أثار اهتمام الجميع، فقد وجدت قاما من الرصاص لونه أصفر، وقالت وهى تسلّط ضوء بطّاريتها عليه: إنه قلم سمير! لقد رأيته يكتب به مرات عدة.

فقال أسامة: إِذَنْ فلا بد أن يكون قد جاء إلى هنا وسقط القلم منه سهوا. لقد كان ظنك صحيحاً يا طريف. فهو لا يهوى الطيور وإنما جاء بقاربه وسيارته ليكون قريباً من أصدقائه وليمدهم بالطعام. انه رجل ماهر فهو لم يخبرنا بشيء من ذلك أبدا.

وقالت إلهام: كم سيدْهَش عندما يعرف أننا كشفنا سِرَّهُ. إني أتساءل هل هو موجود الآن هنا يا ترى؟

فقال أسامة: أستطيع أن أؤكد أنه ليس هنا الآن، فإننا لم نر قاربه على شاطئ الجزيرة وليس هناك طريقة أخرى للوصول إلى هنا.

فقالت إلهام: حقاً لقد نسيت ذلك.

وأخذ الأطفال يفحصون الكهف فوجدوا بعض الدعامات الخشبية تسند أجزاء من السقف، ورأوا فى أحد الجوانب درجات منحوتة في الصخر تؤدى إلى كهف صغير قد سقط سقفه.

وقال طريف فجأة: إني أعتقد أن ذلك الضوء الذي رأيته في الليل لم يكن صادرا عن سفينة وإنما كان صادراً عن هذه الجزيرة. وكان الرجال يشيرون بذلك إلى أنهم في حاجة إلى طعام.. وأن سميراً كان يرد على إشارتهم بإشارة ضوئية مماثلة

فاعترض أسامة قائلا: ولكن الإشارة الضوئية كانت صادرة عن الربوة التي عليها منزلنا وليست عن الربوة التي يعيش عليها سمير!

فقال طريف: تذكر أن ربوتنا أعلى وأن الضوء الْمُنْبَعِثَ من الجزيرة لا يمكن رؤيته إلا من فوق رَبْوَتِنا.

فقال أسامة: يبدو أنك على حق. إذن فقد كان سمير يتجول حول ربوتنا. فلا عجب أن سروراً يقول إن هناك أشياء تسير فى الليل. ولا شك أنه سمع سميراً ورأى الأضواء ولم يستطع معرفة كُنهها.

وقال طريف: وأنا أعتقد أنه جاء إلى الجزيرة وأحضر للرجال طعاماً وحمل معه العلب الفارغة.. يا له من ماكر.. ولكننا كشفنا سره.

وقالت إلهام: إنني أود أن تخبره بأننا عرفنا سِرَّه ولا أرى داعياً لإخفاء ذلك عنه.

فقال أسامة: يمكننا أن نلمح له فى أثناء كلامنا. فإذا أدرك أننا نعلم الأمر قص علينا الحقيقة وأخبرنا بأمر المنجم.

فقال طريف: نعم!! هذا ما سنفعله. والآن فلنتقدم.

وسار الأطفال ثانية، وفجأة انحنى الممر إلى اليسار وعلم أسامة من ذلك أنهم قد أصبحوا تحت البحر نفسه. وقالت أنسام: ما هذا الصوت الغريب؟؟

وأنصت الجميع إلى الصوت البعيد الذي لا ينقطع وقال أسامة: إنها آلات المُعَدَّنِينَ . . . كلا!! إنه صوت البحر فوقنا..

وكان الصوت الذي يصل إليهم هو صوت البحر وهو يَرْتَطِمُ بالصخور وقاع البحر فوقهم. وقالت إلهام: أليس من العجيب أن نكون سائرين تحت البحر؟! ثم ألا تشعرون أن الجو هنا حار.

وظل الأطفال سائرين في طريقهم متتبعين الممر الرئيسي ومتجنبين المرات الفرعية التي تتفرع على كلا الجانبين، وخُيل لهم أنهم يرون ضورا خافتاً عن بعد، وعندما وصلوا إلى انْحَناءَةِ مفاجئة فى الممر وقفوا مشدوهين عندما رأوا كهفاً يضيئه مصباح قوى، ثم وصل إلى أسماعهم صوت غريب لم يستطيعوا أَنْ يَتَبَيَّنُوه.. ولم يكن الصوت يشبه صوت البحر، ولكنه يشبه صوت بعض الآلات، وقال طريف: لقد عثرنا على المكان الذي يعمل فيه المعدنون!! ارجعوا قليلا إلى الخلف فلا يصح أن نُجَازِفَ بأن يرانا أحدهم.

٣- سجناء تحت الأرض

وقف الأطفال لَصَّقَ الحائط ينظرون في داخل الكهف وقد خَطفَ ضوء المصباح عيونهم فرأوا بعض الصناديق، ولكنهم لم يجدوا رَجُلاً واحداً، ولكن كان من الواضح أن هناك رجالا يعملون فى مكان قريب تصدر عنه هذه الضجة. وقالت أنسام: هَيَّا نَعُد من حيث أتينا!!!

فقال أسامة: كلا! انظروا. هذا هو ممر قريب فلَنَسِرْ فيه فربما وصلنا إلى مكان نستطيع أن نرى الرجال منه.

وسار الجميع في ذلك الممر وحدث أن سقط حجر من سقف الممر ففزعت كيكي وطارت عن كتف طريف فقال يناديها: كيكي. كيكي ....

ولكنها لم تعد إلى كتفه، وخاف طريف أن يَفْقَدَها، فعاد ثانية وهو يصفر بشفتيه صفيراً صغيراً خافتا ... ولم يتنبه الأطفال إلى أن طريفاً لم يعد يتبعهم، فظلوا سائرين فى طريقهم حتى فوجئوا بشخص قادم من الاتجاه المضاد. وحاولوا أنْ يتراجعوا، ولكن ضوء المصباح الذي كان يحمله الرجل كشفهم ...!! وقف الرجل وقد أذهلته الْمُفَاجَأَة، ورفع المصباح إلى أعلى ثم نادى: عُوَيس.

تعال حالا !!

وجاء رجل آخر بسرعة.. وعندما رأى الأطفال الثلاثة صاح: من هؤلاء؟؟ هل أنا فى حلم؟! ثم وجه كلامه إلى الأطفال الثلاثة: ماذا تفعلون هنا؟؟ ومع مَنْ جئتم؟

فقال أسامة: لقد جئنا وَحْدَنَا.

فضحك الرجل غير مُصَدَّق وقال بصوته الأجش: لا فائدة من المراوغة!! مع مَنْ جئتم؟! ومن الذي أرسلكم إلى هنا؟! ولماذا؟

وقالت إلهام: لقد جئنا لنرى الجزيرة ونحن نعرف الممر الذي- بين الصخور.

فصاح الرجل وهو يقترب: ولماذا نزلتم هنا؟

قلما اقترب الرجل المدعو عويس استطاع الأطفال أن يَرَوْا ملامحه الشريرة وكان يضع عصابة سوداء فوق إحدى عينيه، وعاد يسأل: لماذا نزلتم هنا؟

فقال أسامة: لقد عَثَرْنَا صُدْفَةً على البئر والسلم فهبطنا لنتفرج على المناجم القديمة ولن نشي بكم. فلا تخف!

فصاح الرجل: لن تشى بنا!! وماذا تعلم أيها الغلام؟

وأشار عويس للرجل الأول فتقدم ثم وقف خلف الأطفال وسد عليهم سبيل الهروب. وفى هذه اللحظة كشف أسامة غياب طريف، وتعجب.. أين ذهب؟ وقال لأختيه هامسا: لا تقولا شيئاً عن طريف.. فإذا سجنونا فسيستطيع طريف أن يهرب ويعود بالنجدة.

وصاح عويس: بماذا تهمس ايها الصبي؟! إذا كنت ترغب ألا يلحق بأختيك أذًى فأخبرني بما تعلم فقد نسمح لكم بالانصراف...

وانزعج أسامة عندما سمع لهجة الرجل، وتبيَّن لأول مرة أن هناك خطراً يحيق بهم، فهؤلاء الرجال متوحشون ولا يحبون أن يكشف

أحد أسرارهم وقال أسامة: إننا نعلم مع من تعملون وهو صديقنا وسيغضب جدا إذا حدث لنا شي..

فقال عويس ساخرا: ومَنْ يكون هذا الصديق العجيب؟

فقال أسامة: إنه سمير!

فقال عويس: سمير!! إني لا أعرف أحداً بهذا الاسم.

فقال أسامة يائساً: ولكن يجب أن تكون عارفا له فأنتم تتبادلون معه الإشارات ويُحْضِرُ لكم الطعام فى قاربه. ونظر عويس إلى زميله في دهشة وتكلم معه بلهجة لم يفهمها الأطفال ثم قال عويس بعد لحظة: وهل أخبركم صديقكم هذا أنه يعرفنا؟؟ فقال أسامة: كلا!! لقد خمنًا ذلك. فقال عويس: لقد أخطأتم فى تخمينكم. سيروا أمامي. وسار الأطفال حتى وصل الجميع إلى باب خشبي مثبت فى الصخر فتحه عويس فوجد الأطفال كهفا يشبه الحجرة به منضدة وبعض المقاعد الخشبية وقال عويس: ستبقون هنا حتى نقرر ما نفعله بشأن الأطفال الذين يَدُسُّونَ أنوفهم فيما لا يعنيهم ولا تخافوا فلن أَهْلِكَكُمْ جُوعاً.

وأغلق عويس الباب وسمعوا صوت المزلاج وهو يثبت، ثم وقع أقدام الرجلين وهو يتلاشى، و بقى الأطفال وحدهم، وأخذت إلهام تبكى، وقال أسامة: لا تبكي يا إلهام!

فقالت إلهام: كيف لا يعرف هؤلاء الرجال سميراً!! ألا يحضر لهم الطعام، وربما كان يأخذ النحاس الذي يستخرجونه !!

فقال أسامة: أراهن على أنه أعطانا اسما مستعاراً وأن سميراً ليس اسمه الحقيقي، ولذلك كان من الطبيعي الا يعرفه الرجال.. آه لو استطاعنا معرفة اسمه الحقيقي!

وقالت أنسام: وماذا نفعل الآن؟؟ إنني لا أحب أن أظل سجينة تحت الأرض.

فقال أسامة محاولا تهدئة الموقف: ولكنها مغامَرَةٌ لذيذة.

فقالت أنسام: ولكني لا أحب المغامرات اللذيذة عندما أكون أنا السجينة!

وكذلك كان شعور الآخرين فى الحقيقة. وتساءل أسامة عن طريف قائلا: ماذا يمكن أن يكون قد حدث له؟؟ إني آمل أن يكون في أمان حتى يستطيع أن يأتي بالنجدة لتنقذنَا.

ولكن طريقاً كان أبعد ما يكون عن الأمان في ذلك الوقت، فقد تركهم وعاد ليبحث عن كيكي ودخل في ممر صغير فوجدها فيه. وعندما عاد لم يستطع الوصول إلى الممر الرئيسي وظل يدخل ممراً ويخرج إلى آخر حتى ضل طريقه ولم تكن لديه أدنى فكرة عن أن إخوته قد قبض عليهم، ولما كانت الخريطة مع أسامة فإنه لم يستطع

أن يستدل على موقع الممر الرئيسي، وأخذ طريف ينادى أسام وكيكي تصرخ، ولكن ما من مجيب، وأخذت جنبات المنجم تردد صدى صوته وتضخمه.

وكان الأطفال الثلاثة فى ذلك الحين قد جلسوا صامتين في سجنهم وقد وضعت أنسام يديها على المائدة وأسندت رأسها ونامت. ولكن أسامة وإلهام لم يستطيعا النوم، وقالت إلهام: يجب أن ندبر وسيلة الهرب يا أسامة.

فقال أسامة: هذا كلام سهل، ولكن تنفيذه صعب. فكيف نهرب من هذه الزنزانة الصخرية ولها مثل هذا الباب المتين؟؟

فقالت إلهام: لَدَيَّ فكرة!! بعد بعض الوقت سيأتي ذلك الرجل عويس أو زميله لإحضار شيء من الطعام، وعندئذ نمسك رؤوسنا ونلهث بشدة ونحن نتقلب على الأرض.

فقال أسامة في دهشة: ولماذا كل ذلك؟ !

فقالت إلهام: لكى نُوهِمَهُ أن الهواء هنا فاسد، وأننا نختنق، فربما أخرجنا إلى الممر حيث الهواء النقي، وعندئذ تهاجمه وتكسر مصباحه ونسرع بالهرب

فنظر أسامة إلى أخته بإعجاب وقال: إنها فكرة جميلة حقا، ويجب أن نوقظ أنسام وتخبرها حتى تعرف كيف تمثل دورها أيضاً، وأيقظ

أسامة أنسام، وأخبرها بخطتهما، فأخذت تتدرب على دَوْرِهَا وقال أسامة وهو ينشر الخريطة :أرى أن ندرس موقعنا الآن وأمامنا متسع من الوقت حتى نستطيع أن نتجه الوجهة الصحيحة عندما نبدأ فرارنا.

وأخذ أسامة يتابع الممرات بأصابعه على الخريطة حتى حدد مكان زنزانتهم من الممر الرئيسي تحديداً دقيقاً، ثم قال: بمجرد أن أسقط مصباح الرجل أمسكا يدى ولا تبتعدا عنى وسأقود كما إلى الممر الرئيسي حتى نصل إلى السلم، ونصعد إلى سطح الأرض حيث ننضم إلى طريف أينما كان، ثم نسرع إلى القارب.

فقالت إلهام متحمسة: حسناً !!

وفى هذه اللحظة سمع الثلاثة وقع خطوات تقترب من الباب الخشبي.

٤- الفرار... ولكن... أين طريف؟

سمع الأطفال صوت رفع مزلاج الباب ثم فتح الباب ودخل عويس يحمل بعض علب الطعام المحفوظ وتقدم إلى المائدة حيث وضع الطعام والمصباح، ولكنه وقف مشدوها عندما أبصر أسامة يتدحرج على الأرض وهو يكاد يختنق وكذلك كانت إلهام وقد أمسكت رأسها بيديها. وفى هذه اللحظة كانت أنسام تصدر أنّات

ضعيفةً فاترةً. ثم ما لبثت أن تهاوت إلى الارض هي أيضاً. وانزعج عويس وصاح متسائلا في استغراب: ما هذا؟؟ وما الذي حدث؟؟

فقال أسامة في صوت ضعيف فاتر: الهواء!! الهواء!! فاسد!!

إننا نختنق! إننا نختنق!

فأسرع عويس وقد جازت عليه الخدعة إلى جذب إلهام إلى الممر خارج الكهف، ثم عاد وحمل أنسام إلى جوار إلهام وعاد مرة أخرى يعاون أسامة على الخروج من الكهف إلى حيث الهواء النقي. وكان عويس قد صدق أن الأطفال على وشك الاختناق حقيقة بسبب فساد هواء الكهف، ولكن أسامة كان يترقب فرصة مناسبة، فلما سَنَحَتْ تظاهر بأنه لا يستطيع حفظ توازنه واندفع نحو عويس، ثم صوب ضربة شديدة بمقدم حذائه الى المصباح فطار من يد عويس. وسقط مهشما وساد الظلام ...

ومد أسامة يديه في الظلام وأمسك بيدي أختيه وأسرع الثلاثة يجرون وأسامة يستعين بذاكرته على تَبَيُّن طريقه، وانعطف فى أول ممر وأخذ يبتعد عن صيحات عويس الذي كان يصيح منادياً زميله: قطب!! أسرع إلى بمصباح آخر لقد خدعني هؤلاء الملاعين!! قطب !

وأحس أسامة أنهم قد وصلوا إلى الممر الرئيسي وكانت صيحات عويس قد أخذت تبعد وتخفتُ فأضاء بطاريته وهو يقول: شكراً الله!!

إننا فى الممر الرئيسي !

ثم توقف قليلا وأرهف أذنيه، ولكنه لم يسمع سوى صوت البحر يهدر فوقهم. وقالت أنسام: ألا يمكننا أن نستريح قليلا.

فقال أسامة: كلا!! فسيتبعنا هؤلاء الرجال بمجرد أن يحضروا مصباحاً آخر وهم يعلمون أننا سنحاول الوصول إلى السلم.

وأسرع الثلاثة يتابعون فرارهم، وبعد لحظات سمعوا صوت صياح خلقهم، فعرفوا أن الرجال قادمون، وكانت أصواتهم تقترب كل لحظة ... وأخيراً وصل الأطفال الثلاثة إلى أسفل السلم. فقال أسامة: اصعدي يا أنسام أولا ثم اتبعيها يا إلهام وأسرعا قدر استطاعتكما.

وصعدت الفتاتان وتبعهما أسامة وكان يسمع صوت الرجال وهم قادمون بوضوح، وفجأة توقفت الأصوات وساد السكون، ولم يعد يسمع صياحهم!! ماذا حدث؟! وكان ما حدث غريبا أشد الغرابة!!! فقد كان طريف لا يزال تائها فى الممرات المظلمة، وسمعت كيكي صياح الرجال وهم يطاردون أسامة وأُخْتَيْهِ، فأخذت تصيح هي الأخرى: امسح قدميك!! أقفل الباب!! استعمل منديلك.

وسمع الرجال صوت كيكي فظنوا الأطفال ينادى بعضهم بعضا

وصوب أسامة ضربة شديدة بمقدم حذائه إلى المصباح، فطار من يد عويس

وقال عويس: لقد ضلوا طريقهم وهم يصيحون فى طلب النجدة. لقد أخطئوا الطريق إلى الممر الرئيسي.

فقال قطب: دعهم يصرخوا فلن يستطيعوا معرفة الطريق!! دعهم وشأنهم حتى يهلكوا جوعاً.

فقال عويس: كلا!! إننا لا نريد أن تأتى فرق البحث فتجدهم، ونضطر للوقوف أمام الشرطة، ويحسن أن نقبض عليهم. إنهم في هذا الاتجاه.

ووصل إليهم صوت كيكي ثانية وهي تصيح: اقفل الباب! امسح قدميك !!

ودهش الرجلان لذلك دهشةً كبيرة وأسرعا نحو مصدر الصوت، ولكن طريقا كان قد اتجه إلى ممر جانبي فى تلك اللحظة، وأخْلَدَتْ كيكي إلى الصمت فلم يعثر عليهما الرجلان. وقال عويس: إني لم أعد أسمع أصواتهم، ويحسنُ بنا أن نذهب إلى السلم خشية أن يكونوا قد نجحوا فى الوصول إليه.

وعاد الرجلان إلى الممر الرئيسي حتى وصلا إلى السلم ونظرا إلى أعلى وعندئذ تساقطت عليهما بعض الأحجار الصغيرة والحصباء فصاح عويس: لقد صَعِدَ الأطفال إلى سطح الأرض !!

وأسرع يرتقى السلم في الحال وكان الأطفال الثلاثة قد وصلوا فعلا إلى سطح الأرض. وجلست كل من أنسام وإلهام على الأرض تلهثان وكان أسامة متعباً أيضاً، ولكنه لم يكن ينوى البقاء لحظة واحدة وقال: إنني متأكد من أن هؤلاء الرجال يصعدون فى السلم خَلْفَنا وليس أمامنا وقت نضيعه فهيا إلى القارب قبل أن يُدركنا أحد.

وكان الظلام قد بدأ يزحف على الكون، فقد قضى وقتاً طويلا فى المنجم وأسرع الثلاثة إلى الشاطئ، فأسعدهم الحظ بأن وجدوا الزورق مكانه، وركب الجميع الزورق وأخذ أسامة وإلهام يجدفان ليخرجا به من المضيق الذي بين الصخور وقال أسامة: لم أكن أريد أن أترك طريفاً، ولكن ليس أمامي سوى الخروج بكما من هنا، ثم إرسال النجدة له بأسرع ما يمكن.

ونجح أسامة فى الخروج بالزورق إلى عرض البحر وعندما وصل عويس وقطب إلى الشاطئ لم يجداً شيئاً، وكان المد قد أقبل فمحا كل أثر للزورق. وقال قطب: لا يوجد أي زورق هنا!! فكيف هربوا؟! أما زالوا تحت الأرض؟؟ على كل حال يجب أن نُرسل إشارة هذه الليلة لكى نحذَرَهم بأن بعض الأطفال قد عثروا بنا تحت الأرض.

وعاد الرجلان إلى المنجم وهَبَطا فى السلم وهما لا يعلمان أن هناك طفلا آخر، ما زال يتجولُ على غير هدى في شبكة الممرات التي كانت تبدو له كلها متشابهة.

واستطاع أسامة أن ينشر الشراع بعد جهد كبير وأخذ يوجه القارب حتى وصل أخيرا فى سلام إلى مرساه. وعندئذ قال أسامة: سأنتظر دقيقة أو دقيقتين لأن رجلي لا تقويان على حملي.

فقالت إلهام: إنك كنت شجاعا جداً. وبعد لحظات غادر الثلاثة الزورق وذهبوا إلى المنزل حيث وجدوا خالتهم في أشد حالات القلق لغيابهم. وقالت: أين كنتم حتى الآن؟! لقد انزعجت جداً لغيابكم.

وكان وجهها شاحباً فصحبتها إلهام إلى الفراش وهى لا تكاد تقوى على السير، فلما عادت إلهام قالت: لا تخبرا خالتنا بغياب طريف، فهي لا تحتمل هذه الأنباء المزعجة ولا سما أنها مريضة.

وذهب أسامة يبحث عن سرور، واطمأن عندما وجد أنه لم يعد من المدينة بعد، إذ معنى ذلك أنه لم يكتشف غياب الزورق وقالت إلهام: ماذا نفعل لإنقاذ طريف؟

فقال أسامة: إننا لا نستطيع أن نخبر خالتنا بذلك، كما أن العم علاما لن يستطيع عمل شيء، ونكون أغبياء حمقى إذا أخبرنا سروراً، وعلى ذلك فليس أمامنا سوى سمير.

فقالت أنسام: ألم يكن من رأيك عدم إخبار سمير بأننا كشفنا سره؟

فقال أسامة: نعم!! ولكن الظروف تغيرت الآن ويجب أن نخبره فيذهب إلى أصدقائه المتوحشين ويخبرهم أن طريفاً صديق له ويعود به.

فقالت أنسام: ومتى تذهب إلى سمير؟

فقال أسامة: بمجرد أن آكل شيئاً فأنا في شدة الجوع، وأنت أيضاً فى حاجة إلى بعض الطعام فوجهك شاحب جداً.

وأقبلت إلهام وشرعت فى إعداد بعض الطعام، وكان من رأيها أيضاً أن السبيل الوحيد لإنقاذ طريف هو الالتجاء إلى سمير. وتناول أسامة بعض الطعام على عجل ثم أسرع بالخروج وأخذ يتسلق الربوة، وظل في طريقه فوق الصخور وهو يسرع قدر طاقته، فقد كان يخشى أن يعثر الرجال بطريف فيعاملوه بقسوة لغيظهم بسبب هزيمتهم. وفى منتصف الطريق رأى أسامة أضواء سيارة سرور، وسمع ضجيجها، فأسرع بالاختفاء حتى مرت السيارة لكيلا يراه سرور، ثم مضى فى طريقه وهو يقول لنفسه: سيدهش سمير عندما يجدني أذهب إليه الآن، وسيعجب من الذي يطرق بابه بعد منتصف الليل، ولا أحد

يعرفه فى هذه المنطقة كلها!!! ولكن ... وا أسفاه!!! لم يكن سمير موجوداً في كوخه عندما وصل أسامة.. فماذا يفعل الآن؟!

٥- مفاجأة

أصيب أسامة بخيبة أمل كبيرة عندما لم يجد سميراً. وجلس على مقعد صغير في الكوخ المظلم يفكر فيما عساه أن يصنع وكان متعباً مكدوداً وعقله لا يستطيع التفكير. وأخذ يقول لنفسه: ماذا أفعل الآن!! ماذا أفعل الآن؟

وانتبه أسامة من شروده عندما لاحظ شيئاً يحدث فى مؤخرة الكوخ، فاستدار ونظر إليه فرأى ضوءاً أحمر يظهر ويختفى بجانب المذياع وتكرر ظهور الضوء الأحمر واختفاؤه عدة دقائق وأسامة ينظر إليه في دهشة ولا يستطيع أن يفسره إلا أنه إشارات يرسلها بعض الناس. وأخيراً غادر مكانه وذهب إلى المذياع ونظر إلى الضوء الذي يظهر ويختفى وأدار أحد مفاتيح المذياع فانبعث صوت الموسيقى من جهاز الراديو، ثم أدار مفتاحاً آخر فانبعث صوت دقات كدقات التلغراف. ولمح أسامة بطريق الصدفة خلف المذياع سماعة هاتف صغيرة، لم ير أصغر منها فى حياته، فالتقطها وعندئذ سمع صوتاً يصيح من خلالها: ك٢ ينادى!! ك٢ ينادى! وأنصت أسامة في دهشة

إلى الصوت، ثم قرر أن يرد على الصوت وصاح: آلو!! من أنت؟!

وأعقب ذلك لحظة صمت، فقد دهش ك٢ أيا كانت حقيقته عندما رد عليه أسامة، ثم سمع اسامة الصوت يقول في حذر: من أنت؟ فقال أسامة: إنني صبي اسمى أسامة وقد جئت لأقابل سميراً، ولكنى لم أجده. فقال الصوت: تقابل من؟!

فقال أسامة: سميراً!! ولكن من أنت؟! هل تريد أن تترك رسالة لسمير؟؟ إنني أتوقع أن يَعودَ بعد قليل؟

فقال الصوت: وهل هو غائب منذ مدة طويلة؟؟

فقال أسامة: لا أدرى!! ولكن انتظر!! فإني أسمع صوته

فى الخارج ويظهر أنه عاد ...!

ووضع أسامة السماعة وعندئذ فتح الباب وظهر سمير ممسكا ببطارية ودهش جداً عندما رأى أسامة الذي قال: إنني سعيد أنك عدت الآن! هناك من يريدُ أن يكلمك فى الهاتف ويقول إن اسمه ك٢!

وقال سمير مندهشاً: هل كلمته؟ !

والتقط سمير السماعة وقال: هل أنت ك٢؟؟ إني م٤.

وكان من الواضح ان الصوت سأل سميراً عمن يكون أسامة لأنه قال: إنه غلام يسكن بالقرب من هنا. هل هناك أي أَخْبَارِ؟!

وكان كل ما قاله سمير بعد ذلك هو:

نعم.. طبعاً.. شكراً.. لم يحدث شيء بعد.. مع السلامة... ولما انتهى من حديثه استدار إلى أسامة وقال بجد: أرجو أن تدرك أنك إذا جئت لزيارتي فى غيابي فيجب ألا تعبث بممتلكاتي، أو تتدخل فى أعمالي؟

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها سمير إليه بغضب فاغتم أسامة وقال: إني آسف!!! أكن أقصد التدخل في شئونك.

فقال سمير: لماذا جئت فى هذا الوقت من الليل؟

فقدم أسامة القلم الرصاص لسمير وهو يقول: هل هذا قلمك؟

وكان أسامة يرجو أن يدرك سمير أنهم يعلمون سره، ولكن سميراً قال: نعم!! إنه قلمي، ولكنك لم تأتِ الآن لكى تعيد لي القلم. فلماذا جئت إذا؟

فقال أسامة يائساً: لا تغضب يا سمير!! لا تغضب!! إننا نعرف سِرَّكَ ونعرف ماذا تفعل هنا، ونعلم سبب ذهابك إلى الجزيرة ونعلم كل شيء...!

وأنصت سمير إلى كل ذلك وهو يحدقُ في أسامة كأنما لا يصدقُ أذنيه، واغبَرَ وجهه وتجمدت أساريره وزاغ بصره، وامتقع لونه وبدا شكله مخيفاً، وقال في لهجة متعثرة: أخبرني عن معنى كل ذلك بالضبط.. ما هو سرى الذي كشفتموه؟!! وما هو كل شيء الذي عرفتموه؟

فقال أسامة: إننا نعلم أن أصدقاءك يحاولون استغلال منجم النحاس، ونعلم أنك حضرت إلى هنا بسيارتك وقاربك لِتُمَدَّهُمْ بالطعام ولتأخُذَ النحاس الذي يستخرجونه، ونعلم أنك تذهب إلى المنجم وتنزل إليهم، كما نعلم أنك أخبرتنا باسم مستعار، ولكن تأكد أننا لن نخبر أحدا بكل ذلك، ولن نشى بك.

وبينما كان أسامة يتكلم عاد سمير إلى حالته الطبيعية مرة أخرى وقال: حسنًا!! إذن فأنتم تعلمون كل ذلك.. وماذا تعلمون أيضاً؟؟

وكيف ذهبتم إلى الجزيرة؟؟ لعلكم لم تستخدموا زورق!!

فقال أسامة: كلا!! لقد أخذنا زورق سرور أثناء ذهابه إلى المدينة، وقد نزلنا داخل المنجم حيث وجدنا قلمك وقابلنا أصدقاءك. إنهم رجال متوحشون وقد سجنونا. وحتى عندما ذكرنا لهم اسمك.. قالوا إنهم لا يعرفونك.. ورفضوا أن يطلقوا سراحنا!

فسأله سمير: من الذين قابلتموهم؟ !

فقال أسامة: قابلنا رجلين أحدهما اسمه عويس والآخر اسمه قطب! فدوّن سمير ذلك فى مفكرتِه وسأله: وماذا كان شكلهما؟!!

فقال أسامة في دهشة: لابد أنك تعرفهما. وعلى كل حال فأنا لم أرهما جيداً فى الظلام، ولكن عويساً كان يبدو طويلا وعلى إحدى عينيه عصابة سوداء.. ولكن كيف لا تعرف أصدقاءك؟

وقال سمير: هل رأيت شيئاً آخر؟

فهز أسامة رأسه وقال: كلا!! ولكننا سمعنا صوت رجال آخرين وهم يعملون وكانت هناك ضجة شديدة، ولا بد أنهم وجدوا نحاسا كثيراً!! هل ستكسب كثيراً من المنجم؟

فقال سمير فجأة: إنك لم تأت الليلة لكى تقول لي هذا الكلام. أليس كذلك؟

فقال أسامة: نعم!! لقد جئت لكي أخبرك أنه بالرغم من إني أنا وإلهام وأنسام استطعنا أن نخدع عويساً ونهرب من المنجم فقد اضطررنا لترك طريف هناك لأننا لم نجده معنا، وأخشى أن يضل طريقه إلى الأبد في تلك الممرات التي لا نهاية لها، أو يقبض عليه أصدقاؤك ويسيئوا معاملته انتقاماً لخديعتهم.

فصاح سمير: طريف مازال هناك؟! ولماذا لم تخبرني بذلك من أول الأمر؟! هذا أمر خطير!! إنكم ستُفْسِدُون الأمر كله أيها الأطفال!

وأسرع سمير إلى جهاز الهاتف الصغير وأدار بعض الأزرار وأخذ يتكلم بلغة لم يفهمها أسامة، وقال أسامة في نفسه: إن هذا جهاز إرسال لاسلكي كما أنه جهاز استقبال أيضاً.. هذا غريب جداً!! مع من يا ترى يتكلم سمير؟! وكيف أننا سنفسد كل شيء؟! كل ما هنالك. هو أن يذهب إلى الجزيرة ويطلب من أصدقائه أن يطلقوا سراح طريف، وينتهى الأمر، ونحن لا يمكن أن نفشى سره لأحد.

واستدار سمير قائلا: هيا إلى الزورق.

وأسرع الاثنان وضوء بطاريتيهما يغمُرُ الصخور نحو القارب، وأخذ سمير يدفع الزورق إلى الماء، ثم صاح فجأة صيحة جعلت قلب أسامة يَثِبُ بين ضلوعه: مَنِ الذي فعل ذلك؟

وصوب سمير الضوء إلى جوف الزورق، ونظر اسامة وقد استولى عليه اليأس والفزع فرأى قاع الزورق وقد تهشم والماء يتدفق من ثقوب كبيرة فيه، وجذب سمير الزورق إلى الشاطئ ثانية، وقال لأسامة: هل تعلم من الذي فعل ذلك؟

فقال أسامة: لا.. طبعا!

وقال سمير: لقد أصبح الزورق عَدِيمَ النفع، فهيا لنأخذَ زَوْرَقَ سرور.

وانطلق الاثنان حتى وَصَلَا إلى حيث يَرْسُو قارب سرور، ولكنهم فُوجِئوا بعدم وجود الزورق.

٦- ممر سرى آخر

بعد أن ذهب أسامة لمقابلة سمير ظلت إلهام وأنسام جالستين في انتظاره، وأخيراً قالت إلهام لأنسام: سأذهب إلى عمى لأخبره أن خالتي مريضة وقد ذهبت إلى فراشها، فتعالى معي.

وذهبت الفتاتان إلى المكتبة واستأذنتا فى الدخول، وأخبرت إلهام عمها علاماً بمرض خالتها، فأومأ برأسه ولم يقل شيئاً. وقالت إلهام: هل لديكَ يا عمى أي خرائط أو كتب أخرى عن الجزيرة؟

فقال عمها: كلا! ولكن لَدَى كتاب عن هذا المنزل، وأعتقد أن هناك ممرا سريا يوصل إليه من الشاطئ.

فقالت إلهام: نعم!! ونحن نعرف هذا الممر ..

وأثار هذا النبأ العم علاماً وطلب من إلهام أن تخبره عنه، ثم قال: لقد كنت أظن أنه تهدم منذ زمن بعيدا، ولكن هذه المرات المنحوتة فى الصخر تعيش طويلا، وأنا أعتقد أن الممر الآخر الذي يمتد تحت قاع البحر إلى الجزيرة قد ملأته المياه مُنْذُ سنين.

ووقفت الفتاتان تحملقان في ذهول نحو عمهما، وأخيراً استطاعت إلهام أن تقول: هل تعنى أن هناك ممرا من هنا إلى الجزيرة نفسها.. إنها مسافة بعيدة جداً؟ !

فقال عمهما: يقال إن هناك مثل هذا الممر وهو مذكور في ذلك الكتاب.. أين هو؟

وانتظرت الفتاتان على أحر من الجمر حتى وجد عمهما الكتاب فأخذته إلهام، وقبل أن يقول عمهما إنه يجب ألا تخرجا بالكتاب من المكتبة كانت الفتاتان قد غادرتا الغرفة إلى حجرتهما وهناك قالت إلهام: هل يمكن أن يكون هناك ممر آخر يوصل إلى الجزيرة مباشرة؟ لا شك أن عمى علاما مخطئ!!

فقالت أنسام: قد يكون وجد الممر حقيقة: فهذ الشاطئ مملوءه بالكهوف والممرات وقد كشفنا ممراً بأنفسنا قبل ذلك وأعتقد أن الممر يصل إلى ذلك الجزء من المنجم الذي يقع تحت البحر.

وأخذت الفتاتان تقلبان صفحات الكتاب القديم، ولكنهما لم تتمكنا من قراءة شيء، لأن الكتابة كانت باهتة ومطموسة، فأخذتا تقلبان الكتاب بَحْثًا عن الصور والرسوم لعل أحدها يكشف حقيقة الممر السري وقالت إلهام وهى تشير إلى صورة قلعة كبيرة: انظري ماذا كان هذا المنزل فى الماضي، قبل أن يتهدَّمَ مُعْظَمُهُ! لقد كان قلعة كبيرة!!

وبعد بضع صفحات رأت الفتاتان صورة رسم تخطيطي فأخذتا تفحصانه ثم صاحت إلهام: انظري إلى هذا!! إنه الممر الذي يُوصل من الشاطئ إلى السرب.. أليس كذلك؟

ولم يكن هناك شك فى أنه نفس الممر الذي كشفه الأطفال عندما سقطوا فيه مصادفة. وأخذت إلهام تقلب باقي صفحات الكتاب، ولكن الكتابة كانت مطموسة وباهتة بفعل الزمن فلم تستطيعا قراءة شيء منها. وقالت إلهام: لو استطعت أن أقرأ هذه الكتابة التي لا تكاد ترى لأمكنني أن أعرف أي هذه الرسوم يُوَضِّحُ مكان الممر السري الموصل إلى الجزيرة!! كم كنت أود أن أكشف هذا الممر قبل

أن يعود أسامة وطريف لكي نفاجئهما بأن هناك ممرا تحت البحر يوصل إلى الجزيرة!!

وعندئذ تذكرت الفتاتان طريفاً وأخذتا تتساءلان عما إذا كان أسامة قد ذهب مع سمير لإنقاذه!! وعندئذ سمعنا صوتا خارج الغرفة فوثبت أنسام وفتحت الباب فوجدت أسامة ومعه سمير وسألتهما: أين طريف؟؟ ألم تنقذاه؟

فقال أسامة وهو يدخل: لقد حطم بعض الناس زورق سمير وجئنا لتأخذ زورق سرور، ولكننا لم نجده، ويبدو أن سرورا يقوم بالصيد ليلا كعادته، ولذلك فنحن لا نعرف ماذا نفعل.

فصاحت إلهام: هل تعلمان ماذا أخبرنا عمى علام هذه الليلة؟؟ لقد أخبرنا أنه كان هناك ممر تحت البحر يصل إلى مناجم النحاس وإن كان يعتقد أنه لا بد أن يكون قد تهدم أو أغرقه الماء، وهذا الكتاب القديم يوضح كل شيء عن هذا المنزل والشاطئ، وقد عثرت فيه على رسم الممر الذي كشفناه بأنفسنا، ولو استطاعت أن أقرأ الكتابة القديمة لكنت قد عرفت مكان الممر الجديد.

فأخذ سمير الكتاب منها وهو يقول: سأحاول أن أجد هذا الممر.

وأخذ سمير يقلب صفحات الكتاب ببطء، وهو يفحص الرسوم والخرائط، وفجأة بدا عليه الاهتمام وأخذ يفحص خريطة قديمة

أمامه، ثم عاد يفحص خريطة أخرى ثم سأل الأطفال: كم يبلغ عُمق البئر التي خلف المنزل؟

فقال أسامة: إنها عميقة جداً مثل تلك الآبار التي تنزل إلى المناجم وربما وصل عمقها إلى تحت مستوى سطح البحر ومع ذلك فإن مياهها عذبة.

فقال سمير: انظروا هنا.

وأشار إلى أحد الرسوم ثم قال: إن هذا الرسم يبين بداية الممر، ولا بد أن تكون فى مكان عميق جداً فلا يُعقل أن يحفر الممر من فوق مكان مرتفع متجهاً إلى أسفل كل هذه المسافة، ولذلك أعتقد بعد رؤية هذه الرسوم أن مدخل الممر يقع داخل البئر، بل ربما يقع قرب القاع!!

فصاح الأطفال في دهشة: البئر!

فلم يكن أحد يفان أن البئر تخفى مدخل ممر سرى يوصل إلى الجزيرة!! وقال أسامة: ولكن هناك ماء عند قاع البئر فكيف تنفذ منه؟

فقال سمير: انظر إلى هذا الرسم. إن مدخل الممر يقع فوق خط المياه في البئر، وأما هذه فيبدو أنها درجات مُثبتةٌ فى الصخر، ولا ريب أن بعضهم قد كشف هذا الممر بالصدفة عند حفر البئر

فى أول الأمر، وأعتقد أنه شق طبيعي فى الصخور كشَفَه.

بعضهم فسار فيه ثم فكر أن يستغله فاستعمل الفؤوس في إكماله وإعداده.

وقالت أنسام: هل تذهبان الآن عن طريق الممر إلى الجزيرة لإنقاذ طريف؟

فقال سمير بحزم مصحوب برفق: كلا!! لن نذهب الليلة في مثل هذا الظلام وكفاكم مغامرات اليوم. ولا يمكننا أن ننزل إلى البئر في الظلام الحالك، وسأنام مع أسامة الليلة

وصعد أسامة مع سمير إلى غرفته، وسرعان ما كان أسامة يَغُطّ فى نوم عميق أما سمير فقد جلس بجانب النافذة يفكر في مغامرة الغد، ويتساءل عما إذا كان سيجد الممر ما زال صالحاً للاستعمال، أو أن البحر قد طغى عليه وأغرقه بالماء. فبالرغم من أن المر الآخر الموصل من الشاطئ

إلى السرب ما زال صالحاً للمرور فيه فإن الممر الجديد اطول من هذا كثيراً، ثم إن البحر فوقه يهدر منذ مئات السنين، ويكفى أن يحدث شق بسيط في جدران الممر أو سقفه لكى تغرقه المياه المتدافعةً من البحر فلا يمكن المرور فيه.

وفى الصباح استيقظ سمير ليجد أسامة قد سبقه ويقول:

استيقظ يا سمير!! لقد طلع الصباح فهيا لتناول الإفطار قبل أن نبدأ البحث عن الممر.

وأسرع الاثنان إلى المطبخ حيث وجدا إلهام وأنسام تُعِدَّان الطعام، وقالت أنسام: إن سروراً لم يعد بعد وهذا من حسن الحظ، ولو أنه عاد لوقف يحملق فى سمير ويتساءل: ما الذي أحضره إلى هنا؟ وحملت إلهام بعض الطعام إلى خالتها وعمها علام وعادت تقول: لقد تحسنت صحة خالتي، ولكنها لن تغادر فراشها اليوم، وأعتقد أن عمى علاما لم يذهب إلى فراشه الليلة!...

وقالت أنسام: إنه لا يترك مكتبته أبداً، والآن هيا بنا قبل أن يعود سرور.

وكان الجميع قد فرغوا من تناول طعامهم فخرجوا إلى الفناء الخلفي حيث تقع البئر وقال أسامة: هل ننزل في الدلو؟

فقالت إلهام: إن الدَّلْوَ صغير. وإن أنسام نَفْسَها لا يمكنها النزول فى الدلو.

فقال سمير: إذا كانت هذه البئر هي الطريق الصحيح إلى الممر.. فلا أعتقد أن الناس كانوا ينزلون ويصعدون فى الدلو، ولكن يجب أن يكون هناك سلم.

فقال أسامة: كلا! لا يوجد سلم! ولو أنه كان موجوداً لرأيته منذ زمن بعيد

فأضاء سمير بطاريته الكبيرة وأدار ضوءها في جنبات البئر، ثم قال لأسامة: انظر إلى هذه القطع الحديدية المثبتة في جدار البئر انها مثبتة بهذا الشكل لكي تقوم مقام السلم.

فصاح أسامة: هذا صحيح!! إنني أتحرقُ شوقاً للنزول!!

فقال سمير: نعم! لقد حان الوقت وسأنزل أولا فاتبعني!! أما أنت يا إلهام فراقبي وصول سرور مع أنسام!

الفصل الرابع

١- رحلة تحت البحر

لم يستطع سمير أن يصل إلى الدرجات الحديدية الأولى، فأحضر أسامة حَبْلاً متيناً ربطه سمير إلى عمود ضخم كان بالقرب من البئر واستعان به على النزول فى البئر حتى مَسَّت قدماه الدرجة الأولى ثم ما لبث أن نزل عِدَّةَ درجات أخرى وأمسك العليا بكلتا يديه ثم نادى أسامة قائلا: تستطيع أن تنزل الآن يا أسامة وحذار أن تنزلق!!

وأخذت إلهام وأنسام تُراقبان أسامة وهو يتبع سميراً وقد أخذ الاثنان يختفيان تدريجيا فى ظلام البئر، ولم تتمالكا أن ارتعشتا لفكرة النزول إلى ذلك الظلام على درجات حديدية قديمة غير مأمونة وقالت إلهام: إننا لا نستطيع أن نراهما الآن فهيا بنا إلى المطبخ؛ لأن خالتنا لن تستطيع العمل اليوم. ولكن ألم تلاحظي أن سروراً تأخر كثيراً؟

وفى ذلك الوقت كان سمير وأسامة يهبطان فى الدرجات الحديديَّة ببطء، وقد اطمأنا إلى متانتها وثباتها في مواضعها من الصخر. وكان سمير قد أضاء بطاريته القوية ثم ثبتها في حزامه، فلم يمض وقت طويل حتى رأى على ضوء البطارية فتحة فى جدار البئر، فدهش لوصوله إلى مدخل الممر بهذه السرعة غير المتوقعة، ودخل إلى الفتحة، ولكن دهشته ازدادت عندما وجد الفتحة لا تؤدى إلى شيء، بل إنه كانت

كان سمير وأسامة يهبطان فى الدرجات الحديدية ببطء ..

فَجُوةً مسدودة!! وعاد إلى الدرجات الحديدية وهو يعجب هذه الفجوة. وبعد مسافة أخرى رأى فجوة مماثلة فى جدار البئر، وكان التعب قد نال منه ففطن إلى أن هذه الفجوات قد عملت لكى يستريح فيها من يستعمل هذه الدرجات الحديدية. فنادى سمير أسامة وأخبره بذلك وأخذ كل منهما يستريح لبضع دقائق في كل فجوة تقابله. واستمر الاثنان يهبطان... وفجأة رأى سمير سطح الماء يعكس ضوء بطاريته فصاح يقول لأسامة :لقد وصالنا للقاع. فلا تهبط حتى أجد مدخل الممر.

وسرعان ما وجد سمير مدخل الممر فى جدار البئر فدلف إليه ثم تبعه أسامة بعد لحظات، وكان الممر مظلما ضيقاً، ولدهشتهما وجدا الممر يتجه إلى أعلى، وكانت هناك درجات منحوتة فى الصخر أخذا يرتقيان فيها ... وبعد برهة عاد الممر يتجه إلى أسفل. وفى بعض الأجزاء كان انحَدَاره شديداً حتى أن سميراً انزلق فجأة، وقبل أن يتمكن من تحذير أسامة، كان قد انزلق هو الآخر. وظل الاثنان يواصلان هذه الرحلة الغريبة تحت قاع البحر في سِرْدَاب من الصخر الصلد حتى وصلا إلى مكان اشتد فيه ضيق الممر حتى لقد مرا منه بصعوبة. فقال أسامة: من حسن الحظ أننا لسنا بَدينَين. أتظن أن الممر

كان ضيقاً هكذا منذ وجد، أم أن الصخور تحركت من مكانها بفعل الزمن؟

فقال سمير: أعتقد أن الممر كان هكذا دائما، فهو شَق أو صَدْعُ طبيعي فى الطبقة الصخرية تحت قاع البحر.

واستمرت الرحلة خلال الصخور السوداء الصماء!! وفجأة شَعَرَ سمير بشيء يجرى بين رجليه، فسلط عليه ضوء بطاريته، ثم صاح مندهشاً: فأر!! فأر فى هذا المكان!! كيف يعيش هذا الفأر؟! وماذا يأكل؟! إنني لا أكاد أصَدَّقُ عيني.

ولكن أسامة ضحك وقال: إنه بوفي!! فأرى الصغير الأليف!! ويبدو أنه قفز من جيبي ولم أشعر به

فقال سمير: حسناً!! يحسن به أن يقفز ثانية إلى جيبك إذا لم يكن يريد أن يموت جوعاً هنا

فقال أسامة: سيعود إلى مكانه حينما يريد. فهو لا يبتعد عنى كثيراً.

وتوقف سمير وأسامة عدة مرات لينالا بعض الراحة، فقد كان السير فى الممر متعباً، وكان سمير قد أحضر معه بعض الحلوى، فأخذا يأكلان شيئاً منها، يخفف ذلك من شعورهما بالتعب. وفى أثناء سيرهما وصلا إلى مكان خُيل إليهما أنه نهاية الرحلة، وقال سمير: يبدو أن

جزءاً من السقف قد انهار فى هذا المكان وليس معنا من الأدوات ما يمكننا من شق طريقنا !!

وعندما اقتربا أكثر وجدا أنه انهيار بسيط، واستطاع الاثنان أن يزحزحا الصخرة التي تسد الممر إلى أحد الجانبين، وواصلا سيرهما فترة أخرى من الزمن، ثم قال أسامة لسمير: هل لاحظت أن لون الصخر قد تغير؟ إنه لم يعد أسود كما كان من قبل، بل يشوبه الآن لون أحمر، فهل معنى ذلك أننا اقتربنا من منجم النحاس؟!

فقال سمير: إن هذا محتمل جدا. فقد أمضينا وقتا طويلا ونحن.. نسير في هذا السرداب ... وأعتقد أننا قد اقتربنا الآن من هذه الجزيرة الغامضة.

ثم استطرد سمير فجأة: هل أحضرت معك تلك الخريطة التي تبين ممرات المنجم؟ لقد نَسِيتُ أن أطلب إحضارها، وسنحتاج إليها بعد قليل.

فقال أسامة: نعم، إنها فى جيبي! انظر إن الممر يتسع بدرجة كبيرة.

وانتهى الممر إلى مكان فسيح يبدو أنه نهاية المنجم وقال سمير هامساً: ها قد وصلنا أخيراً!! حذار أن تُحدث جلبة أو صوتاً!! فيجب أن نعثر على طريف دون أن تلفت نظرا أحد!

ودهش أسامة وقال: لماذا لا تذهب إلى ذلك المكان الذي يعمل فيه أصدقاؤك وتسألهم عن مكانه؟! ولماذا كل هذا الحَذَرِ والحرص؟! إني لا أفهم ذلك!

فقال سمير: إن لَدَيَّ أسباباً خاصة، فأرجو أن تحترمها وتنفّذ ما أقول لك. والآن أرِني الخريطة.

فأخرج أسامة الخريطة من جيبه وناولها سميراً فنشرها على صخرة مستوية، وسلط عليها بطاريته وأخذ يدرسها بعناية، وأخيرا وضع أصبعه على مكان مُعَيّن وقال: هذا هو المكان الذي نقف عليه الآن، وهو نهاية المنجم، أخبرني أي هذه الطرق سلكم عندما جئتم إلى هنا!

فقال أسامة مشيراً بأصبعه إلى الخريطة: هذه هي البئر الرئيسية التي نَزَلْنا خلالها. وهذا هو الممر الرئيسي الذي اتبعناه. وهذا هو الكهف الذي كان يضيئه المصباح القوى، وكانت الضجة التي سمعناها تَصْدُرُ من مكان ما بالقرب من ذلك الكهف حيث كان الرجال يعملون.

فقال سمير مسرورا: حسنا!! لقد أصبحت لَدَى فكرة واضحة عن طبيعة المنجم، وعرفت إلى أين يجب أن نتوجه الآن، فاتبعني دون أن تحدث صوتاً على قدر الإمكان. وسنتجه إلى الممر الرئيسي، ثم نبدأ في البحث عن طريف من هناك لعلنا نراه أو نسمع صوته.

وأخذ الاثنان يتقدَّمان بحذر فى الممر الرئيسي، وكانت هناك ممرات جانبية كثيرة تتفرع عنه، وكان سمير قد وضع أصابعه أمام البطارية حتى لا يشع منها ضوء أكثر من الضوء الذي يحتاج إليه حتى لا يُنَبه اليهما أحداً.

وبعد قليل وقف سمير فجأة وأطفأ بطاريته وهمس: صَه!! إني أسمع وقع أقدام!!

ووقف سمير وأسامة ينصتان فى الظلام، وخيل لأسامة أنه سمع صوتا خافتا كأنما اصطدمت قدم إنسان بحجر صغير، ولكن السكون ظل سائداً، فتابعا سيرهما، ولكنهما ما لبثا أن سمعا الصوت مرة أخرى فوقفا. وكتم سمير نفسه لعله يسمع صوت تنفس الآخر، ولكن يبدو أن الشخص الآخر قد فعل مثله، فقد ساد السكون مرة أخرى، وتابع سمير وأسامة سيرهما بهدوء وفى سكون، وهما يتلمسان جدار الممر في الظلام، وأحس سمير أنهما قد وصلا إلى انحناءة حادة فى الممر فمد يده يتحسّس المكان، وفى نفس الوقت امتدت يد أخرى في الظلام من الجهة المقابلة تتحس المكان، وقبل أن يدرك أسامة ما حدث ارتفعت الصيحات، وشَعَر أسامة أن سميراً قد التحم في معركة عنيفة مع شخص آخر، فماذا حدث؟؟

٢- الكنز العجيب

ماذا حدث لطريف خلال هذه الفترة كلها؟؟

لقد حدثت أشياء كثيرة عجيبة وبعضها لا يكاد يصدق!! فقد أخذ طريف بعد أن انفصل عن إخوته يتجول في شبكة لا نهاية لها من الممرات وكيكي جالسة على كتفه، ولم يعرف أن إخوته قد تمكنوا من الهرب، بل إنه لم يعلم بأمر القبض عليهم وسجنهم. ومضى يخرج من ممر ليدخل في ممر آخر. وقد حدث أن سمع الرجال الذين كانوا يطاردون إخوته صياح كيكي، ولكنهم لم يعثروا عليه أو يكشفوا صاحب الصوت الذي يصيح. وشعر طريف بالخوف وهو يتجول وحيداً في ذلك المكان المنعزل تحت الأرض، وخشى أن تُسْهَلَكَ أحجار بطاريته، وكذلك خاف أن يسقط فوقه سقف المنجم القديم، وأحس بالخوف من أشياء أخرى كثيرة. وقال في نفسه: من يدرى؟! لعله قد قدرَ لي أن أضل طريقي هنا إلى الأبد! وقد أكون الآن قد ابتعدت أكثر من ذي قبل عن الممر الرئيسي الموصل إلى السلم الصاعد إلى سطح الأرض!

وأحسن طريت أن هناك فَرَاغاً فوقه، فنظر إلى أعلى فوجد أنه وصل إلى إحدى الفتحات المؤدية إلى سطح الأرض، فأجس بسرور

غامر، وقال فى نفسه: إن هناك كثيراً من هذه الفتحات، وأستطيع الآن أن أخرج من هذه الفتحة إلى الهواء الطلق.

ولكن أمله خاب عندما كشف أنه لن يستطيع الخروج؛ لأن السلم كان قد انهار ولم تعد هناك وسيلة للخروج عن طريق هذه الفتحة. وشعر طريف بضيق شديد عندما وجد نفسه واقفا في القاع وهو يعلم أن الحرية والهواء الطلق فوقه ولا يجد الوسيلة التي تصعد به إليها!! وقال طريف بصوت خافت: لو إنني كنتُ بنتا لَبَكَيْتُ، ولكنى ولد فيجب أن أتحمل وأُوَاجِهَ الموقف بابتسامة.

واغتصب طريف ابتسامة. وكانت كيكي تَسْتَمِعُ إلى كلماته وقد أمالت رأسها على أحد الجانبين، فلما انتهى من كلامه قالت بعطف كأنما وجدت حلا المشكلة: ضَع البَرَّاد على النار!

وجعل ذلك طريقاً يبتسم حقاً، وقال لها: إنك ببغاء حمقاء. والآن إلى أين نتجه؟؟ بما أننا وصلنا إلى إحدى الفتحات فمعنى ذلك أنني عدتُ أدراجي ثانية وتركتُ الجزء الواقع تحت البحر، وأصبحت الآن تحت الجزيرة نفسها، فلَعَلَّى إذا تجولت فى هذه المنطقة أستطيع أن أعثر على الممر الرئيسي وعندئذ أستطيع الخروج إلى سطح الأرض!

واختار طريف أحد الممرات وأخذ يسير فيه، ولكنه فى النهاية كشف أن الممر مسدود، فاضطر إلى الرجوع مسافة طويلة حتى وجد

ممراً آخر، فانعطف إليه، وأخذ يسير فيه حتى وصل إلى مكان قد انهار به جزء من السقف، فقفتَ ذلك في عَضُدِهِ، وكان التعب قد نال منه مآلا كبيراً، فجلس ليستريح قليلا وأسند ظهره إلى الحائط ... فما لبث أن استغرق فى نوم عميق استمر زهاء الساعتين، فلما استيقظ لم يعرف لأول وهلة أين هو!! فلما تذكر شعر بالخوف، ونهض من مكانه وكيكي مازالت متشبثة بكتفه، وقال طريف لنفسه بحزم: لا فائدة من الاستسلام للخوف، ويجب أن أواصل السير وسأصل إن عاجلا أو أجلاً إلى مكان ما..

وبدأ طريف سيره فى الممرات مرة أخرى، وفى ذلك الوقت سمعت كيكي صوت الرجال وهم يطاردون أسامة وإلهام وأنسام فصاحت، ولكن طريفاً لم يسمع شيئاً، وانعطف إلى ممر جانبي قبل أن يلحق به الرجال الذين اجتذبهم صياح كيكي. ولم يعلم طريف أنه قريب جداً من الفتحة الكبيرة التي نزلوا خلالها، ولكنه وصل إلى الممر الرئيسي بعد قليل، فوقف متسائلا: هل يمكن أن يكون هذا هو الممر الرئيسي؟! لو أن معي بطارية أقوى من هذه لاستطعتُ أن أتَبَيَّنَ الحقيقة.

واتجه طريف إلى أحد طرفي الممر وهو لا يعلم أنه يبتعد عن الفتحة التي بها السلام، ورأى بضع درجات منحوتة في الصخر،

فدفعه الفضول إلى الصعود فيها، فوجد نفسه في ممر آخر وتعثرت قدمه، فاستند بيديه على الحائط فسقط منها حجر صغير. وأسرع طريف يسلط ضوء بطاريته على المكان خشية أن يكون الحائط سينهار، ولكن الضوء كشف له شيئاً يبرق بلون أحمر، وسرعان ما تبين له أنه عثر على سَبيكة من النحاس، ففرح لذلك، وتساءل: هل يستطيع حملها؟ وهل كانت هذه السبيكة فى هذا الموضع بالمصادفة منذ سنين بعيدة؟ أوهل خبأها أحد فى ذلك المكان الذي أسقطها منه بطريق الصدفة؟؟؟

وكانت السبيكة ثقيلة، ولكنه استطاع حملها، وقد استخفَّهُ السرور، وأخذ يفكر: يا ترى!! ماذا يقول إخوته عندما يريهم السبيكة!؟! وقرَّرَ طريف أنه يجب عليه أن يبتعد عن طريق المعدنين أكثر من ذي قبل لئلا يراه أحدهم فيَسْتَوْلِيَ على كُتْلَةِ النحاس، وقد تكون من حقهم قانونا، ولكنه يريد أن يُريها لإخوته فهو الذي كشفها.

وعاد طريف إلى الممر الرئيسي مرة أخرى وقد ثبت بطاريته في حزامه حتى يستطيع أن يحمل سبيكة النحاس بكلتا يديه. وكان ضوء البطارية متجها إلى أسفل مباشرة، فجعل ذلك تقدمه بطيئاً، ووقف طريف فجأة قائلا لنفسه: ما هذا؟! إني أسمع تلك الأصوات التي

سمعناها قبل ذلك، ولا شك إنني أتجه إلى المكان الذي يعمل فيه الرجال، وقد أكون قريبا من إخوتي أيضاً!

وأخذ طريف يتقدم إلى الأمام بهدوء حتى انعطف الممر فجأة، فوجد أمامه ذلك الكهف الذي يضيئه المصباح القوى، ولكن الكهف لم يكن خالياً كالمرة السابقة، بل رأى فيه الآن بعض الرجال وكانوا يحاولون فتح أحد الصناديق الكبيرة التي فى الكهف، وأخرجوا منه عدداً من علب الطعام المحفوظ وأفرغوا بعض محتوياتها في أطباق معدنية، وأخذوا يأكلون ويتكلمون.. وفى هذا الوقت اختبأ طريف خلف إحدى الصخور البارزة وأخذ يراقبهم في سكون، وكذلك جلست كيكي ساكنة فوق كتفه وقد أخافها الضوء الساطع بعد أن ظلت ساعات طوالا في الظلام.

وشعر طريف بجوع شديد وهو يرى الرجال يلتهمون طعامهم، فهو لم يتناول طعاما أو شراباً منذ وقت طويل، وقد بذل جهداً كبيراً فى التجول فى هذه الممرات التي لا أول لها ولا آخر، وكاد طريف لشدَّة جُوعه أن يتقدَّمَ من الرجال ويطلب منهم بعض الطعام، ولم يمنعه من ذلك إلا أنه لم يكن يبدو عليهم أنهم رجال طيبون، بل كانت الشراسة بادية على وجوههم، وقد زاد من بشاعة منظرهم أن نصفهم الأعلى كان عارياً لا يستره شيء، فقد كانت الحرارة شديدة فى

المنجم. وانتهى الرجال من تناول طعامهم وتوجهوا إلى ممر فى الطرف الأقصى من الكهف، ويبدو أنهم ذهبوا لكى يستأنفوا عملهم، فقد زادت الضجة التي كانت تصل إلى أذنيه وأصبح الكهف خاليا الآن.. تسلل طريف إلى الكهف فوجد ثلاثة مصابيح قوية معلقة في السقف واتجه إلى المائدة حيث وجد كمية لا بأس بها من الطعام مازالت في العلب فأسرع يلتهمها بشراهة وهو يشعر أنه لم يأكل ما هو ألذ من ذلك الطعام. وقرر أن يتسَلَّل إلى المكان الذي يعمل فيه الرجال ليرى... كيف يستخرجون النحاس؟! وهل يستعملون الفؤوس والمعاول؟؟ هل يُفَجِّرون الصخور؟! وما السبب فى كل هذه الضجة، فقد كان الصوت يشبه صوت آلة ضخمة تدور بلا انقطاع؟! وتسلل طريف بهدوء فى الممر حتى وجد نفسه قد وصل إلى كهف آخر. ودهش دهشة كبيرة لما رأى في ذلك الكهف الجديد!! فقد رأى نحو اثنى عشر رجلا منهمكين في تشغيل عِدَّة آلاتٍ يَصْدُرُ عنها ضجيج وفَرْقَعة تصم الآذان ويتردد صداها بين جدران الكهف. ووقف طريف يتأمل كل هذه الآلات وهو يَعْجَبُ كيف أمكنهم إحضارها إلى داخل المنجم! وانتهى إلى أنه لا بد أنهم قد أحضروها قطعة قطعة، ثم قاموا بتركيبها فى المنجم وأخذ يتأمل الآلات وهى تعمل وتعجبَ: ماذا تفعل هذه الآلات؟! هل تستخلص هذه الآلات

وأخرج الرجال من الصندوق عددا من علب الطعام المحفوظ ..

النحاس من الصخور التي يَخْتَلِطُ بها، ثم تَطْهَرُهُ وتجعله سبائك نقية؟! لو كان هذا صحيحاً لكان معناه أن النحاس الذي فى المنجم كمياته صغيرة ولا يوجد فى شكل سبائك كبيرة كهذه السبيكة التي عثر عليها!! ورأى طريف أحد الرجال يتجه إلى المكان الذي يختبئ فيه، فأسرع يتقهقر إلى ممر قريب مظلم حتى مر رجل من أمامه، ثم عاد بعد قليل يحمل إبريق ماء. وكان طريف يقف مستنداً إلى الحائط، ولكنه ما لبث أن شعر أن الحائط يتحرك خلفه قليلا، ومال طريف إلى الوراء، وسلط طريف ضوء بطاريته على الحائط فوجد أنه كان يستند إلى باب خشبي متين يفضى إلى كهف ضيق كذلك الكهف الذي سُجن فيه إخوته. وسمع طريف صوت وقع أقدام مُقبلةٍ، فأسرع بالدخول إلى الكهف وأغلق الباب، فلما ابتعد صوت الأقدام أضاء بطاريته ليرى أين هو؟! وماذا يحوى هذا الكهف؟! فرأى أكداساً من الورق الصغير المصفُوفِ بعناية تبعاً لأحجامه وألوانه. ونظر طريف إلى أكداس الورق مرَّةً أخرى وهو يَفْرُكُ عينيه دهشة وعَجَباً، فقد رأى أمامه آلاف الربطات من أوراق النقد فكانت هناك ربطات من فئة الجنيه الواحد وربطات من فئة الخمسة الجنيهات، وحزم من فئة العشرة الجنيهات، وكانت ثروة تكفى لجعل أي شخص ثَرِيًّا كبيراً فى غمضة عَيْن. وقال طريف لنفسه: لا شك إني أحلم الآن!! إنني فى حلم غريب.

وسأستيقظ منه وأضحك على ما رأيت، فالناس لا يجدون مثل هذه الثروة هكذا ببساطة تحت الأرض، فهذا مستحيل، ويحسن بي أن أستيقظ حالا!

٣- مقابلة مفاجئة

لم يستيقظ طريف من حلمه، وكان ذلك لسبب هَيْن جداً، وهو أنه لم يكن نائماً، بل كان فى يَقَظة تامة ينظر باهتمام إلى تلك الأكداس من ورق النقد. وسأل نفسه: ما السبب فى وضع تلك

الثروة فى هذا المكان تحت الأرض؟؟ ومن صاحب هذه الأموال؟؟ ولماذا لا يضعها صاحبها فى أحد المصارفِ كما يفعل جميع الناس؟ واعتقد طريف أن الرجال الذين يعملون فى المنجم لابد أنهم وجدوا كميات كبيرة من النحاس وباعوها واحتفظوا بثمنها بهذا الشكل.

وكان طريف مستغرقاً فى التفكير وقد أدهشته ضَخَامَة الثروة التي يراها أمامه، حتى أنه لم يسمع صوت وقع الأقدام التي كانت مُتَّجِهَةً إلى الباب، وفتح رجل الباب ثم وقف ينظر إلى طريف في دهشة شديدة، وكانت دهشته أكبر من دهشة طريف نفسه، ووقف ينظر إليه وعيناه تكادان تخرجان من مِحْجَرَيْهِمَا، ثم جَذَبَهُ بخشونة إلى الكهف الذي فيه الآلات وصاح: انظروا!! لقد وجدته في غرفة المخزن!

وأوقفت الآلات في الحال وتجمع الرجال حول طريف وتقدم أحدهم منه، وكان هو عويس بنفسه وقد بدا الشر واضحاً في سِحْنَتِه، وزاد من بشاعة منظره تلك العصابة السوداء التي تغطَّى عينيه، وأمسك طريفاً وأخذ يهزه هزاً عنيفاً حتى سقط طريف على الأرض عندما تركه الرجل وصاح عويس: أين الباقون؟! من الذي أحضركم؟! وماذا تفعلون جميعاً هنا؟ وما تعلمون؟

وتلفت طريف حوله يبحث عن كيكي التي طارت خائفة وتعلَّقَتْ بنتوء بارز في سقف الكهف ... والتقط سبيكته النحاسية وأدهشه أن الرجال لم يهتموا بسبيكة النحاس الكبيرة. وكان يخشى أن يأخذوها منه، وأخيراً قال مجيباً عن أسئلة عويس: إنني لا أعلم أين ذهب الباقون!! لقد جئنا إلى هذه الجزيرة وكنا وَلَدَيْنِ وبنتَيْنِ وتُهتُ أنا منهم وانفصلت عنهم.

فقال عويس: إنكم لم تأتوا إلى هنا وحدكم، فمن كان معكم أيضاً؟

فقال طريف: بل جئنا وحدنا . . . ولكن من صاحب هذه الأموال التي فى الكهف الصغير؟

وأثار هذا السؤال هَمْهَمَةً بين الرجال، وقال عويس: أخبرني بكل ما تعلم، فلا شك أنك سمعت بعض المعلومات ... أليس كذلك! أخبرني بما تعلم، وإن لم تخبرنا فلن ترى ضوء الشمس ثانية!! هل هذا واضح؟

وكان المعنى المخيف واضحاً كل الوضوح، فبدأ طريف يَرْتَعِدُ وقال يائساً: إن كل ما نعلمه هو أن بعضهم يستغل مناجم النحاس من جديد، وأن سميراً يحضر الطعام إلى هنا فى قاربه، وهذا هو كل ما نعرفه.

فقال عويس: سمير!! هذا هو نفس ما قاله الأطفال الآخرون من هو سمير هذا؟

وصاح عويس فجأة: هل له اسم حقيقي وآخر غير حقيقي؟

وذعر طريف للهجة عويس حتى أن سبيكته الثمينة سقطت من يديه فوق قدم عويس، فالتقطها عويس وأخذ يتأملها، ثم قال: ما هذا الحجر الذي تحمله؟! هل أنتم مجانين أيها الأطفال؟! ببغاء – حجر ثقيل - سمير - مناجم نحاس - إنكم جميعاً مجانين

وتقدم قطب بجانب عويس وقال: إنني أرى أن نحبسه يوماً بدون طعام، فإن ذلك كفيل بأن يجعله يخبرنا بما يُخْفِيهِ من معلومات. وإن توافقوا فما رأيكم فى سَوْطٍ تُلْهِبُ به جسمه؟

وشحب وجه طريف، ولكنه لم يظهر لهم أنه خائف، بل قال: لقد أخبرتكم بكل ما أعرف، فهل هناك شيء آخر يمكننا معرفته؟! هل هناك سر؟!، فقال عويس بخشونة وغلظة: خُذْهُ بعيداً، وسيطلق الجوع لسانه.

وأمسك قطب طريفاً من كتفه، وأخذ يدفعه بقَسْوَةٍ إلى خارج الكهف، وظل يدفعه حتى وصلا إلى الكهف الذي سبق أن سجن فيه إخوته، وفى اللحظة التي كان قطب يدفع فيها طريفاً إلى داخل الزنزانة انقضت كيكي على قطب وأنْشَبَتْ منقارها المقوس فى وجهه،

فرفع قطب يديه ليحمى وجه وسقطت بطاريته وانطفأت، فأسرع طريف بالابتعاد عن الزنزانة وقبع ساكنا في الظلام. ولم تعلم كيكي أين ذهب طريف، فطارت إلى داخل الزنزانة ووقفت على المائدة وهى تقول: يا للأسف!! يا للأسف!

فاعتقد قطب أن طريفاً هو الذي يتكلم داخل الزنزانة فأغلق الباب بالمفتاح، وفى هذه اللحظة أقبل عويس وسأله: هل أغلقت عليه الباب؟

فقال قطب: نعم!! وهو يكلّمُ نفسه ويمكنك أن تسمعه ويبدو أنه مجنون

وأنْصَت الرجلان فوصل إليهما صوتُ كيكي يقول: يا للأسف! يا للأسف!

وقال عويس: إنه يأسف لحاله. ولكنه سيأسف أكثر بعد قليل.

ثم أطلق ضحكة وَحُشِيَّة كريهة جعلت الخوف يعصر قلب طريف ومضى الرجلان إلى الكهف الآخر مرة ثانية، وسرعان ما بدأ ضجيج الآلات، وتقدم طريف نحو الباب الخشبي ليطلق سراح كيكي التي أنقذته، ولكنه لم يجد المفتاح فى مكانه من الباب، ولابد أن أحد الرجلين قد أخذه معه، وهكذا بقيت كيكي سجينة، ولكن طريفاً بقي مطلق السراح، ويمكنه أن يعمل على إنقاذها. وخُيل إلى طريف أن

هناك شيئاً غامضاً أو خطأ فى الأمر. فهؤلاء الرجال أشرار، ولا يمكن أن يكونوا أصدقاء سمير. فهل أخطأ الأطفال فى استنباطهم؟! وما سير هذه النقود الكثيرة وهذه الآلات الغريبة؟ وكيف لم يهتم الرجال بسبيكته النحاسية؟! وتمنى طريف لو استطاع أن يجد السلم الذي يقوده إلى سطح الأرض فلعله يجد إخوته فى انتظاره أو لعلهم عادوا وتركوه!! ثم أما زال الوقت نهاراً أم جاء الليل؟!

وسار طريف من ممر إلى آخر، وقد ازداد شعوره بالوَحْدَة والخوف، وتمنى لو أن كيكي كانت معه على الأقل، وأخيراً وجد لنفسه مكانا في كهف صغير، فجلس مشيداً ظهره للحائط وراح فى نوم مُتَقَطَّع غير مريح ... ومرت الساعات وهو لا يزال نائماً، وفى ذلك الوقت كانت كيكي فى الكهف وهى لا تفهم أين ذهب صاحبها. وعندما استيقظ طريف مد يده يتحس كيكي على كتفه، ولكنه لم يجدها فتذكر ما حدث، وشعر أنه يجب عليه أن يجد وسيلة للخروج من ذلك المكان، وأن يذهب لرجال الشرطة ويُخْبِرَهُم بما يعلم من أمر تلك الثروة الهائلة المكدَّسة فى الكهف وتلك الآلات الغريبة المُخَبَّأَة فى المنجم، وقال في نفسه: لقد كنت أود أن أخبر سميراً، فلا أعتقد أنه صديقهم ... ولكنى لست واثقاً.

وبدأ طريف جولته التي لا تنتهى خلال الممرات المتشابكة وبطاريته ترسل ضوءاً ضعيفاً لا يكفى لتبين الطريق، وفجأةً انطفأت البطارية ولم تعد ترسل ضوءاً. ومضى طريف وهو يتحسس الطريق بإحدى يديه وكانت يده الأخرى مازالت تحمل سبيكته النحاسية. وشعر طريف بالخوف وأن أمله يتوقف على أن يجد تلك الفتحة المؤدية إلى الخارج بطريق الصدفة. وظل يتحسس طريقه ثم توقف فجأة، وقد شعر أنه سمع شيئا، فأنصت بعض الوقت، ولكنه لم يعد يسمع شيئا، فاستأنف سيره ثم ما لبث أن توقف لأنه أحس أن هناك أناساً بالقرب منه، وكتم نَفْسَهُ لَعَلَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ تنفس أحدٍ فلم يسمع شيئاً، ولعل الشخص الآخر كان يكم نفسه أيضاً ويُنْصِتُ مثله، فلما لم يسمع شيئا عاود السير، فاصطدم بشدة مع شخص آخر فجأة.. يا ترى!! أهو عويس؟! أم قطب؟!

وبدأ طريف يناضل نضالا عنيفاً، ولكن الشخص الآخر كان مفرط القوة، وسقطت السبيكة النحاسية على قدم طريف فصاح: آه!! قدمي!! قدمي!

وساد السكون وقتاً قصيراً وانبعث ضوء قوى من بطارية الشخص الآخر، وقال في دهشة: إنه طريف!

وصاح أسامة: طريف!

وأسرع أسامة يحتضن أخاه ويقول: يا له من حظ سعيد أن نعثر عليك هكذا!

وقال طريف وقد ظهرت رنة السرور فى صوته: أسامة!!! سمير!

وشعر طريف بآلام الوحدة والخوف تتبدد بعد أن وجد نفسه بين أخيه وصديقه وهما يبتسمان له فى فرح وغبطة. وربت سمير كتف طريف وقال: إني مسرور لإني وجدتك سليما. لا شك أن لديك الكثير لتقصه علينا.

فقال طريف: نعم!! ولكن أين إلهام وأنسام؟

فقال أسامة: إنهما في المنزل الآن فقد افتقدناك أمس ولم نعثر عليك، ثم قبض علينا وسُجنَّا، ولكننا تحايلنا على الهرب، ووصلنا إلى سطح الأرض وأسرعنا إلى المنزل، وقد ذهبت إلى سمير وأخبرته بما حدث وها نحن أولا، قد عُدْنَا، ولكننا لم نستطع الحضور أمس لأن بعضهم قد حطّم قارب سمير، ولم نجد قارب سرور في مكانه.

فسأله طريف مندهشا: وكيف جئتما؟

فقال أسامة: هناك ممر طويل بين المنزل وهذا المكان يمر تحت قاع البحر. وقد وجدناه فى كتاب قديم جئنا عن طريق هذا الممر وقد اقتضانا ذلك وقتا طويلا وجهدًا مضنيا، ولكننا وصلنا أخيرا.

وتعجب طريف لذلك وأخذ يمطرهما بالأسئلة، ولكن سميرا قال: فلنجلس قليلا فإن لدى عدة أسئلة أريد أن يجيبني عنها طريف وهى ذات أهمية كبيرة، وأعتقد أنك تستطيع أن تحل لغزاً كبيرا أبحث عن حل له منذ مدة طويلة.

٤- زوال الغموض

قال طريف فى حماس: إن لَدَيَّ أخباراً كثيرة لكما.. لقد وجدت كهفاً مليئاً بأكداس من النقود. أوراق بنكنوت!! كلها جديدة! وأعتقد أن هناك آلافاً من الجنيهات.

فظهرت علامات الرضا على وجه سمير وقال: آه!! إن هذه أنباء مهمة جدًّا. هذا مدهش يا طريف.

واستمر طريف يقول: وقد رأيت أيضا عدة آلات تدور وتعمل وأعتقد أنها تصهر النحاس.. وتَسْتَخْلِصه من الصخور ... ولكن إحدى هذه الآلات تشبه آلة الطباعة.

فصاح سمير بصوت شاعت فيه رنة الغبطة والارتياح: آه!! آه!! هذه أخبار مدهشة!! أخبار عظيمة جدا!! إنك يا طريف أمَطْتَ اللثام عن لغز كبير حيّر الحكومة وجميع رجال الشرطة مدة خمس سنوات!!

فسأله طريف: عن أي لغز تَتَحَدَّثُ؟

فصاح أسامة متحمساً: أراهن أنني قد عرفت السر!! إن هذه الآلات تقوم بطبع أوراق النقد المزيفة، وهذه النقود التي وجدها طريف ماهي إلا تلك الأوراق النقدية المزيفة التي يطبعها اللصوص، وهم يحفظونها هنا لحين أخذها من الجزيرة إلى المدينة لكي يستعملها أولئك اللصوص أو سادتهم الذين يديرون عملية التزييف.

فقال سمير: لقد أصبتَ فى استنتاجك، وهم يزيفون هذه النقود بمهارة فائقة حتى لا يستطيع غير الخبير أن يعرف الفرق بين النقود الحقيقية والمزيفة، وقد ظللنا نتعقب هذه العصابة عدة سنواتٍ ونحن لا نستطيع أن تعرف أين يخفون آلات الطباعة أو نحدد المكان الذي تظهر منه هذه النقود المزيفة.

وصاح طريف في دهشة: إذن فهؤلاء الرجال لا يقومون باستخراج النحاس من المنجم!!! لقد أخطأنا في الاستنباط!! إنهم قد اختاروا هذا المكان المنعزل عن العالم ليُخفوا آلاتهم ويقوموا بتزييف النقود في أمان. يا لَهُمْ من ماكرين!

فابتسم سمير وقال: نعم! إنهم ماكرون. وكان كل ما يحتاجون إليه هو شخص يصلهم بالعالم الخارجي. شخص يستطيع أن يُبْحِرَ إلى الجزيرة حاملا إليهم الطعام وغير ذلك مما يحتاجون إليه من الضروريات ثم

يعود حاملا أكداس النقود المزيفة ليوصلها إلى الزعيم، أيا كان هذا الزعيم، وقد كان هذا الوسيط هو السبب في كشف أمرهم أخيرا

فقال طريف: ومن هو هذا الوسيط؟! هل هو شخص نعرفه؟

فقال سمير: طبعا!! لقد ظننت أنكما ستخمنان ويصدق تخمينكما . . . إنه سرور.

وصاح الصبيان: سرور! سرور 1.

وفي لمح البصر تكشفت الحقيقة لهما. وقال أسامة: حقا! فلديه قارب كبير، وكان يستطيع أن يخرج به وقتما يشاء في النهار أو الليل بدعوى أنه ذاهب للصيد، وبذلك يستطيع الذهاب إلى الجزيرة وقتما يشاء. وتلك الإشارات الضوئية التي رآها طريف كان يرسلها الرجال من فوق الجزيرة، وكان سرور هو الذي يرد عليهم بمصباحه من فوق الصخور عندما قابله طريف.

فقال طريف: وأعتقد أنه كان يأخذ النقود المزيفة إلى زعيم العصابة عندما كان يذهب إلى المدينة فى سيارته لشراء حاجات المنزل، فلا عجب أنه كان يرفض اصطحابنا لئلا نشك في شيء.

وقال أسامة: هل تذكر تلك الصناديق والعلب التي رأيناها في الغرفة الخلفية فى السرب. إني أراهن أنها ليست لخالتي عزيزة، بل هي المؤن التي ينقلها سرور جزءا فجزءا إلى الجزيرة.

وقال طريف: وهل تذكر قصصه عن الأشياء التي تسير في الظلام فوق الربوة وفوق صخور الشاطئ...؟! لقد كان يقص علينا هذه القصص بقصد إخافتنا ليمنعنا من الخروج ليلا حتى لا نكشف ما يفعله. وهل تذكر أنه كان يخلع على الجزيرة صفات مخيفة، فهي الحزينة، والكئيبة، والملعونة ... وحتى يجعلنا لا نفكر في الرحلة إليها. إن كل شيء قد أصبح واضحا الآن. أليس كذلك؟

وكان سمير يستمع إلى هذه المناقشة المسلية في سرور ثم قال: نعم ا لقد زال الغموض الآن.

وسأله طريف: لماذا جئت لتقيم على هذا الشاطئ في ذلك الكوخ المتهدّمِ؟! هل أنت من هواة الطيور حقا؟

فضحك سمير وقال: لا!! ولكنني لم أكن أقدر إنني سألتقى بأحد هواة الطيور عندما قلت لك إنني من هواة الطيور، وقد كدتَ تكشف أمرى عدة مرات، فاضطررت إلى قراءة عدة كتب عن الطيور حتى أستطيع مجاراتك، فلم أكن أستطيع أن أخبرك عندئذ أنني من ضُبّاط الشرطة وقد جئت إلى هنا لكى أراقب سروراً وأكشف ما يفعل.

فسأله أسامة: وما الذي جعلك تعتقد أن سروراً يقوم بعمل غير قانوني؟

فقال سمير: إنه معروف جيداً لدى رجال الشرطة، وله سوابق في تزييف النقود، ولم نكن واثقين من أن له صلة بعملية التزييف الحالية، أو ليس له صلة، فقد اختفى فجأة من عدة سنوات عندما وجد لنفسه عملا عند خالتكم، فهو فى خدمتها منذ خمس سنين، ولم يكن أحد يظن أنه رجل مجرم! ولكن أحد رجالنا رآه فى المدينة واستطاع أن يعرف مكان عمله، فحضرت أنا على الفور لأراقبه مراقبة دقيقة من حيث لا يدرى. وقد اعتقدنا أننا بمراقبته قد نستطيع أن نصل إلى هؤلاء المزيفين.

فقال طريف: لقد استطعت أن تنصب لهم فخاً محكماً. وهل يمكنك بعد هذا أن تعتبر أن وجودنا كان مفيداً فى كشف أمر هذه العُصْبة؟

فقال سمير: حقا!! لقد ساعدتموني كثيراً دون علمكم. فقد أكدتُم لي أن سروراً هو الوسيط، وكذلك أكدتم لي أنه يذهب إلى الجزيرة ويتردَّدُ عليها كثيراً. فذهبت إليها بنفسي ذات مرة وتجولت مسافة قصيرة في الممرات حيث سقط منى القلم الرصاص، ومع ذلك فإني لم أكشف وجود الرجال الذين يقومون بطبع النقود المزيفة.

فقال طريف: ولكننا كشفنا ذلك. فماذا تنوى أن تفعل الآن؟

فقال سمير: لقد اتصلت برؤسائي فى الليلة الماضية بالهاتف اللاسلكي، وأخبرتهم بشكوكي واستنباطاتي، وأخبرتهم أني ذاهب إلى الجزيرة لإنقاذ شخص ما.

فقال طريف: وماذا ينوى رؤساؤك أن يفعلوا الآن؟

فقال سمير: لا أعرف تماماً، ولكني سأعرف عندما أعود وأتصل بهم. ويحسن أن نعود الآن عن طريق الممر الذي جئت مع أسامة من خلاله.

وقال أسامة: أعتقد أن سروراً هو الذي حطم زورقك ولابد أنه شك فى شيء أو كشف أنك صديقنا؟!

فقال سمير: إن سروراً مجرم ماكر. ومما يزيد خطورة مكره وخُبْثه أنه دائماً يتظاهر بالبلاهة والغفلة. والآن هيا بنا!

فقال طريف فجأة: إني أريد أن أحضر كيكي، فلا يمكنني أن أذهب وأتركها هنا لأنى إذا تركتها فسيقتلها الرجال أو تموت من الجوع أو الخوف.. ألا نستطيع أن نذهب لإحضارها؟

فقال سمير: لا! إن أمامنا أشياء أكثر أهمية من كيكي..

وكان أسامة يعرف مدى تعلّق طريف بكيكي فقال لسمير: أرجو أن توافق على الذهاب إلى الكهف لإحضار كيكي، وما علينا إلا أن

نحدد موضعه على الخريطة ونتسلَّل إليه فى هدوء، وأعتقد أنه الكهف نفسه الذي سُجنتُ فيه مع إلهام وأنسام.

وقال سمير وهو غير مُقْتَنِع بضرورة البحث عن كيكي الآن: حسناً!! ولكن يجب أن نسرع وحَذَار أن تُحدِثا صوتاً فلا أريد أن نلفت إلينا الأنظار.

ونشروا الخريطة أمامهم وأخذوا يدرسونها بعض الوقت، ثم انطلقوا فى سبيلهم فى حذر وهدوء. وسمع سمير صوت الآلات وهى تعمل فأخذ يُنْصِتُ إليها جيداً، فتبين له من صوتها أنها آلات طباعة. وقبل أن يصلوا إلى الكهف الذي فيه كيكي سمعوا أصواتاً مُقْبلَةً فأسرعوا يختفون بجانب الحائط وهم لا يجرؤون على التنفس، وهمس أسامة في أذن سمير: هذا صوت عويس.

وكان هناك ثلاثة رجال واقفين أمام باب الكهف حيث كانت كيكي، وكانوا ينصتون في دهشة للصوت الذي ارتفع داخل الكهف وأصبحت كلماته واضحة: استعمل منديلك!! ضَعَ البَرَّادَ على النار!! امسح قدميك!! كيكي المسكينة!! كيكي المسكينة!

وقال عويس للرجلين الآخرين: لقد جُنَّ الغلام!

وأصدرت كيكي صوتاً عالياً يشبه صوت قاطرة السكك الحديدية، وكان الرجال يعتقدون أن طريفاً داخل الكهف، فقال قطب: لقد اختل عقله!

وتكرر صياح كيكي، فصاح الرجل الثالث: إن هذا صوت ببغاء: لقد كان مع الغلام ببغاء.

فقال قطب: افتح الباب وسنرى ما يحدث. فوضع عويس المفتاح فى الباب وأداره، ثم دفع الباب فانفتح، وفى الحال طارت كيكي إلى الخارج وهى تصيح صياحاً عالياً جعل الجميع يقفزون من المفاجأة وسلط الرجال ضوء مصباحهم داخل الكهف فوجدوه خالياً، واستدار عويس غاضباً نحو قطب وقال: أيها الأحمق!! لقد سجنت الببغاء وتركت الغلام يهرب!! إنك تستحق القتل!

وحملق قطب داخل الكهف، ولكنه كان خالياً فلم يكن به سوى كيكي. وقال قطب: حسناً!! إنني أعتقد أن الغلام قد ضل سبيله في المرات إلى الأبد ولن يجده أحد أبداً!

فقال عويس بمرارة: إننا جماعة من الحمقى، فقد تركنا الأطفال الثلاثة يهربون فى المرة الأولى، والآن يخدعنا هذا الصبي أيضاً.

وترك الرجال باب الكهف مفتوحاً وعادوا نحو الكهف الذي به الآلات.

وشَهِقَ طريف شَهقةً خفيفة، فقد هبطت كيكي فجأة على كتفه وأخذت تمسح رأسها في وجهه وهى تصدر أصواتاً خافتة تدل على السرور والفرح، وكذلك أخذ طريف يمسح رأسها وهو مسرور بعودتها إليه، وقال سمير في صوت خافت: هيا بنا لنعود من حيث اتينا.

وأسرع الثلاثة عائدين وبطاريتا أسامة وسمير تضيئان لهم الطريق، ولم يبتعدوا كثيراً حتى سمعوا صوت أقدام مقبلة، وقال طريف بصوت خافت: أعتقد أن هناك شخصاً قادماً من جهة الممر الرئيسي.

وأطفأ سمير وأسامة بطاريتيهما وانتظروا، وازداد صوت الأقدام اقترابا وبطارية القادم تشع ضوءاً قوياً.. وحاول الثلاثة أن يتقَهْقَرُوا إلى ممر صغير خلفهم، ولكن طريفاً تعثر ووقع محدثاً صوتاً، وصرخت كيكي، وفى الحال سلط عليهم ضوء ساطع وسمعوا صوتاً حادًا يقول لا تتحركوا وإلا أطلقت النار!

ومد سمير يده ليمنع الصبيين من الحركة، فقد كان يعلم أن عِصْيَانَ هذا الأمر يؤدى إلى الموت. ووقف الثلاثة وقد بَهَرَ عُيونهم الضوء المنبعث من البطارية.. ويُخيّل إلى طريف وأسامة أنهما يعرفان هذا الصوت، وفى لحظة واحدة صباح الاثنان: سرور!! ماذا تفعل هنا يا سرور؟

فقال سرور في صوت بارد: أنا الذي أسألكم هذا السؤال.

وسلط الضوء على وجه سمير وقال له: وأنت أيضاً هنا؟! لقد حطمتُ قاربك، ولكن لا شك أنكم كشفتم الممر السري الذي يمتد تحت قاع البحر.. إنكم تظنون أنفسكم أذكياء!! ولكنكم أذكياء أكثر مما هو ضروري لسلامتكم. إن أمامكم وقتاً سيئاً هنا. سيئاً جداً!

٥- فى المصيدة

ورأى الثلاثة مسدساً في يد سرور وهو يُصوبه إليهم. ولام سمير نفسه وغضب لأنه أطاع الصبيين وعاد من أجل الببغاء. وكان يعلم أن سروراً رجل خبيث لا يمكن أن يُخدَعَ كما يُخدَعُ عويس أو قطب وصاح سرور: ارفعوا أيديكم فوق روسكم واستديروا وسيروا أمامي. ورأى سرور كيكي فقال: هذه هي الببغاء!! إني مدين لها بالشيء الكثير. وسأوفى ديني الآن. وفطن طريف إلى أن سروراً ينوى أن يطلق النار على كيكي، فدفعها دفعة شديدة وهو يصيح: ابتعدي يا كيكي!! ابتعدي!! وطارت كيكي واختفت في الظلام وقد أحست بغريزتها أن طريفاً لا يريدها بالقرب منه، وأن هناك خطراً يتهددهم جميعاً. وظلت تتبعهم وهى تحرص على البقاء خلف سرور عدوها اللدود، وقاد سرور الثلاثة إلى الكهف المعهود وأغلق عليهم الباب بنفسه ونادى عويساً، ثم سمعه المسجونون وهو يكلمه، ثم يبتعدان معا.

وفى داخل الكهف قال سمير: لم يكن من الحكمة أن نعود من أجل هذه الببغاء، فقد أصبحنا سجناء الآن، وقد يستطيع هؤلاء المجرمون الفرار الآن بكل تلك الآلاف من الجنيهات المزيفة ويغرقون بها البلد !!!

فقال طريف بانكسار: إني آسف لإني طلبت منك العودة من أجل كيكي!...

فقال سمير وهو يشعل سيجارة: إني مَلُوم أيضاً !!

ومضى بعض الوقت، ثم فتح الباب وظهر سرور وعويس وقطب ومعهم رجلان أو ثلاثة آخرون، وقال سرور: لقد جئنا لنودعكم الوداع الأخير، فقد انتهينا من عملنا هنا، وقد جئت أيها الضابط متأخراً جداً فلدينا الآن كل ما يلزمنا من النقود.

فقال سمير في هدوء: إذن فأنتم راحلون وستحطَّمُونَ آلاتكم لِتُخْفُوا آثار جريمتكم، ثم تأخذون النقود الزائفة وترحلون، ولكنكم لن تستطيعوا الفرار بسهولة، وسيجد رجال الشرطة الآلات سواء هشمتموها أو لا. وكذلك ....

فقاطعه سرور: لن يجدوا شيئاً! حتى لو جاء جميع رجال الشرطة، فإنهم لن يجدوا شيئاً يدلهم علينا . . . أبداً!

ولم يستطع سمير أن يخفى دهشته فقال: ولماذا؟!

فابتسم سرور ابتسامة كريهة، وقال: لأننا سنغرق المنجم!! نعم!! فسرعان ما تغمر المياه هذا المنجم وتملأ كل ممراته وكهوفه وستخفي الآلات وجميع آثارنا، وكذلك ستخفيكم أنتم أيضاً!

فقال سمير: وفى النية أن تتركونا هنا!! اتركوني أنا إن ولكن خذوا هذين الغلامين معكم.

فقال سرور: إننا لا نريد أحدا منكم، فسيكونان عقبة أمامنا.

فصاح سمير: لا يمكن أن تكون قاسياً إلى هذا الحد. إنهما طفلان صغيران.

فقال سرور وهو ما زال يتكلف الكلام بلهجة مؤدبة كانت تبدو رهيبة فى ذلك الوقت: آسف!! إن لَدَيَّ أوامر !!!

ولم يكن سرور يبدو للطفلين الآن ذلك الأحمق الأبله الذي عرفاه دائما، بل كان شخصاً آخر تتمثل فيه القسوة والنذالة... وقال سمير: كيف تغرقون المنجم؟

فقال سرور: إنه أمر سهل للغاية. فقد حفرنا جزءاً فى سقف الممر الممتد تحت قاع البحر والذي جئت أنت عن طريقه، ووضعنا بعض المتفجرات الشديدة فى ذلك الموضع وبعد أن نكون قد وصلنا إلى سطح الأرض ستسمع صوت انفجار شديد، وعند ذلك يكون سقف الممر قد نسف، وستتدفق مياه البحر إلى ذلك الممر ومنه إلى باقي الممرات والكهوف الموجودة فى المنجم وتملؤه إلى مستوى سطح البحر، وأخشى ألا تجدوا الأمور كما تشتهون عندئذ.

وحاول طريف أن يقف ليظهر السرور أنه ليس خائفاً، ولكن رجْلَيْهِ خانتاه، فقد كان خائفا وكذلك كان أسامة خائفاً. أما سمير فقد

ظل محتفظاً برباطة جأشه، وقال ضاحكا: افعل ما تريد!! وثق أنك لن تستطيع الهرب بسهولة فنحن نعرف عنكم وعن زعمائكم أكثر مما تتصورون.

واقترب أحد الرجال من سرور وهمس في أذنه شيئاً، ويبدو أنه كان يذكره بأن موعد انفجار المتفجرات قد اقترب وأن الماء سرعان ما يغمر المنجم، فقد قال سرور في لهجة مؤدبة وهو يبتسم: والآن وداعاً!

فقال سمير بنفس اللهجة المهذبة: إلى اللقاء بعد قليل!

ولم يقل الصبيان شيئاً، ولكن كيكي أطلقت ضحكة عالية وهى فى مخبئها خارج الكهف، وهَمْهَمَ سرور قائلا: كنت أود أن أقتل هذه الببغاء!

ثم خرج من الكهف مع الآخرين، وأغلق الباب بالمفتاح وأخذت أصوات الرجال تبتعد ... ثم ساد السكون، ونظر سمير إلى الصبيين وقال: لا تيأسا!! إننا لم نمت بعد. وسأنتظر حتى يبتعد هؤلاء الرجال ثم أفتح الباب ونخرج جميعاً.

فقال طريف: تفتح الباب؟! كيف؟

فقال سمير: إن لي طريقتي الخاصة.

وأخرج سمير من جيبه مجموعة من المفاتيح المختلفة الأشكال وبعض الأدوات الدقيقة والمبارد.. وأخذ يعالج الباب فلم يمض وقت

طويل حتى كان الباب مفتوحا، وقال سمير: والآن هيا إلى الفتحة الرئيسية التي بها السلم قبل أن يفوت الوقت وأسرع الثلاثة يعدون نحو الممر الرئيسي الموصل إلى السلم واقتضاهم الوصول إلى السلم بعض الوقت، فلما وصلوا ونظروا إلى أعلى حيث كان ضوء النهار يتراءى عن بعد وصل إلى مسامعهم صوت دوى هائل مكتوم فى نهاية المنجم. أخذ صَدَاه يتردَّدُ بين جنبات الممرات، وقال سمير: لقد ذكر سرور الحقيقة وهذا هو صوت المتفجرات، فلو أنها أحدثت فجوة فى سقف الممر فسرعان ما ستندفع المياه إلى جميع أنحاء المنجم

وكان أسامة يتحرق شوقا للصعود إلى سطح الأرض فقال: هيا بنا فإنني أتوق للخروج إلى الضوء.

وكان طريف لا يزال يحمل سبيكته النحاسية، فقال: يجب أن أربط هذه السبيكة حول جسمي بأية وسيلة.

وفزع الصبيان عندما سمعا سميرا يصيح فجأة ... وصاح أسامة: ماذا حدث؟!

فقال سمير: انظروا.. لقد حطم هؤلاء الرجال الدرجات السفلى من السلم بعد أن صعدوا فيها، حتى لا نتمكن من الصعود لو استطعنا الهرب من هذا الكهف. إنهم لم يتركوا شيئاً للظروف. إننا لن نستطيع الهرب، فلا يمكننا الصعود بدون سلم.

وأخذ الثلاثة ينظرون إلى الدرجات المحطمة وقد استبد بهم اليأس، وأحدثت كيكي صوتاً يشبه الأنين جعل الثلاثة يقفِزون من المفاجأة، وقال طريف فى يأس: أعتقد أنني رأيت سلماً خشبيا فى ذلك الكهف الذي كانت به الصناديق. فيمكننا إحضاره والاستعانة به للوصول إلى الدرجات السليمة، فلا أظن أنهم حطموا سوى الدرجات السفلى التي نستطيع الوصول إليها بدون سلم.

فسأله أسامة: هل أنت متأكد أنك رأيت سلما خشبيا في ذلك الكهف؟! إنني لا أذكر إنني رأيت سلما!!!

فقال سمير: هيا بنا نحضره فهذه هي فرصتنا الوحيدة. وأسرع الثلاثة نحو الكهف، ولكنهم لم يصلوا إليه فإنهم لم يبتعدوا إلا قليلا حتى رأوا المياه تتدفق نحوهم في هدير مكتوم أرسل الرعب في قلوبهم، وصاح سمير: إلى الممر الرئيسي مرة أخرى!! فهو أعلى من باقي الممرات ويُخَيَّلُ لي أن البحر كله قد اندفع إلى المنجم! وأسرع الثلاثة مرة أخرى إلى الممر الرئيسي حتى وصلوا إلى السلم مرة أخرى، وكان صوت المياه المتدفقة إلى ممرات المنجم يُحدثُ دويا يتردَّدُ صداه في كل مكان ويرسل الخوف فى قلوب الثلاثة الذين شَعَروا أنهم فى مَصْيَدَةٍ لا خلاص منها.. وكان مستوى الممر أعلى من باقي أجزاء المنجم ومع ذلك فقد كان من المؤكد أن المياه ستصل إليهم سريعاً

وقال سمير: إن الماء سيظل يندفع إلى المنجم حتى يصل إلى مستوى الماء عند سطح البحر ولن يملأ سوى نصف هذه الآبار الموصلة إلى داخل المنجم.

فشعر طريف بالخوف يعصِرُ قلبه وقال بصوت مرتعش:

سنكون قد غرقنا عندئذ!

فقال سمير: إنكما تجيدان السباحة. أليس كذلك؟؟ وما زال لدينا أمل واحد ... إن الماء سيصل إلينا ويملأ البئر التي نقف تحتها فإذا احتفظنا برباطة جأشنا استطعنا أن نرتفع مع الماء إلى أعلى حتى نصل إلى الجزء السليم من السلم فنصعد فيه.. عندما يبدأ الماء في الارتفاع في البئر. اصعدا معه.

والتفت طريف إلى الماء الذي كان يَزحَفُ نحوهم وهو يلمع تحت ضوء بطارية سمير، ولم يتمالك أن ارتعد فقد كان المنظر رهيبا!! وقال أسامة: هذه هي نهاية هذه المناجم، فلن يستطيع أحد أن ينزل إليها مرة أخرى بعد الآن!

فقال سمير: لقد نَفِدَ كل النحاس الذي كان فى المنجم. ولقد كان طريف محظوظا عندما وجد هذه السبيكة. ولا شك أن أحد المعدنين كان يخفيها ثم اضطُرَ إلى تركها حتى عثر عليها طريف بعد عشرات السنين.

وقال طريف: إنني أريد أن آخذ هذه السبيكة معي، ولكنى لن أستطيع السباحة وهى معي فخلع سمير قميصه وربط فيه السبيكة النحاسية ثم علقها فى رقبته، وابتسم قائلا: إنها ثقيلة بعض الثقل ومع ذلك فإني سأحملها، واحمل أنت كيكي.

فقال: شكرا لك!! ولكنى أخشى أن تعوقك عن السباحة وتجذبك إلى أسفل. أما سمير فقد كان قويا جدا فقال: لا! لا أظن ذلك

قال أسامة بقلق: انظر!! إن الماء يقترب.

ونظر الجميع إلى الماء الذي كان يقترب من المكان المرتفع الذي كانوا يقفون عليه تحت فتحة البئر، وقال طريف: إن منظر هذه المياه السوداء رهيب !!

فقال أسامة: أعتقد أن الظلام هو الذي يجعل هذه المياه تبدو سوداء.

وقال سمير: إننا نقف فوق مكان مرتفع، ولن تصل إلينا المياه إلا بعد وقت، فدعونا نجلس قليلا لنستريح.

وجلس الجميع، وخرج بوفي الفأر الأليف من جيب أسامة ووقف على رجليه الخلفيتين وهو يتشمم الهواء بأنفه، وكأنه أحس أن هناك شيئاً غير عادى. ورأت كيكي الفأر فصاحت به: امسح قدميك!! استعمل منديلك!

وصاح بها أسامة: صه الا تحاولي إخافة بوفي.

وأخذ الثلاثة يَتَلَهَوْنَ عن الخطر المقترب منهم بمراقبة حركات بوفي، وأخذ الماء يزداد اقتراباً، وقال أسامة لسمير: إن الماء يندفع إلى المنجم الآن، فهل تظن أنه سيندفع إلى الناحية الأخرى أيضاً حتى يصل إلى البئر التي فى منزل خالتنا؟

فقال سمير طبعاً سيتدفق الماء فى الجهة الأخرى من الممر حتى يصل إلى البئر، ولكنى لست واثقاً مما إذا كانت فتحة الممر نفسها تحت مستوى سطح البحر أو لا. فإذا كانت فوق مستوى سطح البحر فلن يتدفق الماء المالح إلى ماء البئر العذب، أما إذا كانت الفتحة تحت مستوى سطح البحر فسيصبح ماء البئر ملحاً، وعندئذ لن تستطيع خالتكم البقاء في ذلك المنزل، لأنه ما من سبيل آخر للحصول على الماء العذب سوى البئر.

وقال طريف: لقد وصل الماء إلى قدمي. اجلسي ساكنة يا كيكي. وأين بوفي يا أسامة؟

فقال أسامة: إنه واقف على كتفي الآن

وكان الجميع واقفين تحت فتحة البئر تماماً في انتظار أن ترفعهم المياه إلى أعلى، وكانت قد وصلت إلى صدورهم في ذلك الوقت، وقال أسامة: إني كنتُ أتجمد! إن الماء بارد جداً!

فقال سمير: إن الماء ليس بارداً في الحقيقة، ولكن الجو في المنجم حار جداً ولذلك نشعر أن الماء بارد، فهو لم يكتسب حرارة جو المنجم بعد.

وارتفع الماء إلى أكتافهم وصاحت كيكي خائفة وهى تنظر إلى المياه: ضع البراد على النار! أقفل الباب!

ولم تمض لحظات حتى ارتفع الماء فى البئر حاملا الثلاثة معه وقال طريف: إن المكان أضيق من أن يتسع للسباحة.

وأخذ الثلاثة يجاهدون لكى يظلوا على سطح الماء بالرغم من ضيق المكان الذي ازدحم بهم، وظل الماء يرتفع بانتظام، وكان سمير قد أخذ بطارية أسامة وأضاءها ثم وضعها بين أسنانه وضوؤها مسلط على جدار البئر حتى يتبين ما إذا كان السلم قد تحطم كله أو أن الرجال حطموا الجزء السفلى وتركوا ما فوقه ... وأخيراً أبعد البطارية عن فمه وقال: لقد وصلنا إلى الجزء السليم من السلم وسأعاونكما على الإمساك به ... أنت أولا يا طريف مع كيكي فقد اشتد خوفها.

وسبح طريف إلى جدار البئر حتى أمسك بالسلم ثم أخذ يصعد فى درجاته، وبعد أن ارتفع مسافة مناسبة تبعه أسامة، ثم تبعهم سمير وهو يُحِس بثقل السبيكة حول عنقه. وظل الجميع يَصْعَدُون، وأخذت كيكي تتحدَّث بصوت خافت فى أذن طريف كأنما تبثه خوفها من

تلك المغامرة وهى واقفة على كتفه بعد أن نزلت عن رأسه الذي كانت واقفة فوقه وهو فى الماء. وكذلك كان بوفي فأر أسامة الأليف متعلقاً بأذن سيده هرباً من الماء، وصاح طريف الذي كان فى المقدمة: لقد اقتربنا من النهاية وكدنا نصل.

وكانت هذه أنباء حسنة، فقد شَحَذَتْ من هِمَّتِهِمْ وجَدَّدَتْ نشاطهم، فأخذوا يصعدون بنشاط ... وأخيراً وصل طريف أولا إلى سطح الأرض، وطارت كيكي وهى تصيح فرحا. وما إن صعد طريف إلى سطح الأرض حتى وقف مذهولا، فقد رأى أمامه رجلا جالساً فى هدوء وبيده مسدس، وقال الرجل فى صوت حازم: ارفع

يديك إلى أعلى!! وإياك أن تحاول تحذير من سيصعد خلفك!! ارفع يديك!

٦- نهاية طيبة

وقف طريف رافعاً يديه فوق رأسه في ذُعْرٍ وهو يتساءل: أهربنا لكي يُقبض علينا ثانية؟؟ ولم يجرؤ على الصياح.

وتبع أسامة طريفاً فعامله الرجل نفس المعاملة، ووقف رافعا يديه فوق رأسه والرجل يقول له: إياك أن تحاول تحذير من يتبعك!

وعندما ظهر سمير صاح به الرجل قائلا: ارفع يديك. ولكن سميرا قال: أبعد هذا المسدس عنى يا وحيد! فصاح وحيد في دهشة: أهذا أنت؟! وتقدم نحو سمير يصافحه ويقول: لقد تركوني هنا فى انتظار أن يصعد أي فرد آخر من العصابة، ولكنى لم أتوقع أن تخرج أنت من هذه البئر.

ووقف الصبيان ينظران في دهشة لما يحدث، ولاحظ سمير دهشتهما فقال: هذا هو وحيد أحد ضباطنا وصديقي الحميم، ثم سأل وحيداً: ماذا حدث؟!، فقال وحيد: تعال معي وسترى بنفسك

وسار الجميع حتى مروا من الثغرة التي بين التلال ووصلوا إلى الشاطئ، وهناك رأوا منظراً عجباً . . .!! فقد كان جميع المزيفين يقفون

صفا واحداً، ووقف أمامهم رجلان مسلحان بالمسدسات وقال أسامة: إن سروراً معهم. ونظر سرور إليهم بدهشة شديدة إذ كيف هرب هؤلاء من الكهف المغلق؟! ثم كيف تسلقوا البئر والسلم محطّم من أسفله؟!

وقال طريف: كيف قبضتم عليهم؟!

ورأت كيكي عدوها اللدود سروراً فأخذت تحوم حول رأسه وهى تصيح، وكأنها تعلم أنه لم يعد قادراً على إيذائها

وقال وحيد مجيباً عن سؤال طريف: لقد أبلغنا سمير معلومات هامة عن طريق الهاتف اللاسلكي، فأسرعنا بالحضور إلى هنا ورأينا ما يدل على أن العصابة تنوى الرحيل، فقد وجدنا زورق سرور وأكداساً من النقود المزيفة.

فقال أسامة: كيف حضرتم؟! فليس هناك أي قارب بالقرب من هذا المكان؟

فقال وحيد مشيراً إلى شاطئ الجزيرة: إن لدينا زوارق بخارية سريعة، وقد جاءت بنا بأقصى سرعة، فلما وجدنا أن العصابة تنوى الرحيل جعلنا كميناً عند كل فتحة، فلم نكن تعلم من أي فتحة سيخرجون، وهكذا تصيدناهم واحداً واحداً وهم خارجون من فتحة البئر.

فضحك طريف وقال: هكذا فعلت معنا. وماذا تنوُون أن تفعلوا الآن؟

فقال وحيد: إن سميراً هو الرئيس هنا.

فقال سمير: يحسن أن نقود هؤلاء الرجال إلى الزوارق السريعة وسنذهب جميعاً إلى منزلكم.

واقتيد المزيفون إلى الزوارق البخارية، وركب سمير مع طريف وأسامة زورق سرور، ومرت الزوارق الثلاثة بسلام من المضيق واتجه الجميع نحو المنزل، وقال سمير: لقد انتهى كل شيء على ما يرام ولو أنه مرت علينا بعض الأوقات ظننت فيها أننا لن نستطيع الخلاص من المآزق التي وقعنا فيها.

وقال طريف: إنني أشعر بجوع شديد، ويُخَيَّلُ إلى أنه قد مضت أجيال منذ أكلت آخر أكلة دَسِمَة.

فقال سمير: سنصل إلى المنزل حالا وتستطيع عندئذ أن تأكُلَ كُل ما تشتهيه نفسك!

وسمعت إلهام وأنسام وكذلك خالتهما عزيزة صوت هدير محركات الزورقين البخاريين قبل أن يصلا إلى الشاطئ بمسافة كبيرة، فخرجن يستطلعن سبب هذه الضجة ودهشن كثيراً عندما رأين زورقين سريعين مملوءين بالرجال يتبعُهُما عن كثب زورق شراعي يشبه زورق

سرور، وجميعها متجهة نحو منزلهن. وقالت الخالة عزيزة: ما معنى هذا كله؟! إني لا أحتمل كل هذه المفاجآت.

وأسرعت الفتاتان تجريان إلى المرفأ الصغير، ودهشتا عندما رأتا سروراً ضمن الرجال، وأخذتا تبحثان عن أسامة وطريف فقال وحيد: هل تبحثان عن سمير والصبيين؟! إنهم آتون خلفنا في القارب الشراعي. هل عندكم هاتف؟ !

فقالت إلهام: لا! ولكن من هؤلاء الرجال؟! ولماذا أرى سروراً بينهم؟!

وسرعان ما وصل الزورق الشراعي وقفز منه أسامة وطريف وتبعهما سمير، فانهالت الفتاتان عليهم بالأسئلة، فأخذ أسامة وطريف يقصان ما حدث على إلهام وأنسام، فلما سمعت خالتهم الحقيقة كادت أن يغمى عليها، عندما علمت أن خادمها سروراً كان مُجْرماً خطيراً يُجِيدُ أن يتظاهر بالبلاهة والغفلة. واستأذن سمير في أن يستعمل أحد رجاله السيارة العتيقة ليذهب إلى كوخه قائلا للخالة عزيزة: أرجو أن تسمحي لزميلي وحيد أن يستعمل سيارتك للذهاب إلى كوخي حتى يستطيع أن يتصل بالرؤساء عن طريق الهاتف اللاسلكي لكى يرسلوا لنا عدة سيارات تحمل هؤلاء الرجال، فإننا لم نستطع الذهاب إلى هناك بزوارقنا، لأن المرفأ صغير ولا يصلح لهذه الزوارق الكبيرة.

وذهب وحيد فى السيارة، ولم يمض وقت طويل حتى أقبلت عدة سيارات من سيارات الشرطة، فأركبوا فيها سروراً وعصابته ومعهم رجال الشرطة، وقال طريف: أليس هذا مجيبا؟! لقد ذهبنا إلى الجزيرة لكى نعثر على بعض الطيور النادرة فإذا بنا نعثر على عصابة خطيرة وآلات لطباعة أوراق النقد المزيفة مخبأة فى منجم النحاس القديم.

وقالت خالته عزيزة: لو إنني كنت أعلم أنكم تفعلون كل هذه الأشياء لأرسلتكم إلى الفراش مبكرين فى كل يوم.

وضحك الجميع لطيبة الخالة وسذاجتها.. وانطلقت سيارات الشرطة براكبيها بعد أن وَدَّعَ وحيد سميرا والأطفال وخالتهم وبقى سمير بعض الوقت ثم ذهب إلى كوخه.

وكان اليومان التاليان حافلين بالنشاط والعمل.. فقد أصطحب سمير الأطفال إلى المدينة حيث قابلوا بعض الرجال الرسميين وأخبروهم بكل ما يعرفونه وقصوا عليهم تفاصيل ما رأوا فى المناجم، وكذلك كل ما حدث من مغامرات. وفى اليوم التالي قال سمير لطريف: أَتَحْمِلُ معك تلك الصور التي التقطتها للعلب الفارغة التي كانت على الجزيرة في أول مرة نزلتم فيها؟؟ إن سروراً ينكر أنه كان يأخذ المؤن إلى الرجال الذين كانوا يزيفون النقود فى المنجم، وقد

وجدنا هذه العلب في السرب فربما أمكننا مضاهاتها بالصور التي التقطها.

وهكذا أفادت تلك الصور التي التقطها طريف التحقيق واعتبرت -كما قال سمير - دليلا ضد المجرمين. ولكن طريقاً لم يكن سعيدا كل السعادة لأنه وجد أن سبيكته النحاسية غير ثمينة، وقال: لقد كنت أظن أنها عظيمة القيمة، فكنت آمل أن نبيعها بمبلغ كبير من المال ونَقْتَسَمَه جميعاً، ومع ذلك فهي ذكرى جميلة للمغامرات التي قمنا بها، وسآخذها إلى المدرسة ليراها أصدقائي، فإن أحداً منهم لم ينزل إلى منجم قبل ذلك، وبعد أن يتفرجوا عليها سأهديها إلى متحف المدرسة لتحفظ هناك.

وقالت أنسام: حقا لو كانت هذه السبيكة تساوى مبلغاً كبيراً من المال لكان ذلك شيئا جميلا.

وبينما هم يتحدثون فى شأن السبيكة والمال وخيبة أمل طريف في سبيكته، والتعب الذي لقيه فى سبيل المحافظة عليها... حدثت مفاجأة غير منتظرة أدخلت السرور على قلوب الأطفال، فقد جاءهم مبلغ كبير من المال من حيث لا يتوقعون، إذ أنَّ السلطات الرسمية كانت قد رصدت مكافأة كبيرة لمن يدلى بمعلومات أو يرشد إلى أدلة تُقضى إلى القبض على تلك العصابة الخطيرة التي تزيف النقود، فلما تم

القبض على العصابة كانت المكافأة قد أصبحت من حق هؤلاء الأطفال الصغار. ونال سمير نصيبه من المكافأة، وفاز بمدح رؤسائه، وأسرعت والدة الأطفال بالحضور عندما علمت بتلك الأنباء المثيرة، فأخذ الأطفال يتسابقون ... كُل يريد أن يقص عليها ما حدث له. واكتشف الجميع أن البئر التي يأخذون منها الماء لم تعد صالحة للشرب، فقد أصبح ماؤها ملحاً، وكان على العم علام والخالة عزيزة أن ينتقلا من هذا المنزل. وقالت إلهام: أحسن شيء فعله سرور أنه أغرق المنجم، فتدفق الماء إلى البئر لأن ذلك سيجعل خالتنا عزيزة تنتقل إلى بيت في المدينة، كما كانت تريد، بدلا من هذا المنزل المنعزل الذي يصر عمى علام على عدم مبارحته.

وفى الليلة الأخيرة فى ذلك المنزل قدم سمير إليهم وتناول العشاء معهم، وقد أحضر لهم فى سيارته عدة صفائح من الماء العذب اعتبروها هدية ثمينة لأن ماء البئر أصبح غير صالح للشرب، وعلى مائدة العشاء أخذ الجميع يضحكون ويتذكرون ما حدث..

وانطلق بوفي يجرى على المائدة يبحث عن شيء يأكله فصاحت كيكي: أقفل الباب!! امسح قدميك!! ضع البراد على النار!! استعمل المنديل!

"تمت"